

مغامرات
أرسين لوبين

وراء الستار



القسم الأول

سر القواصة

كيف أتبع لك أن تعرف أرسين لوبين أول ما عرفته ؟

كثيرا ما طرح على أصدقائي هذا السؤال :
فما يخالج الشك أحدا في أنني أعرفه حق المعرفة .. إذ أن التفاصيل الدقيقة التي أقدمها عن شخصيته الحيرة ، والوقائع الثابتة التي أبسطها ، والأدلة الصحيحة التي أتلى بها ، والتعليل الدقيق الذي أشرح به بعض الوقائع التي غمض سرها على الآخرين فلم يروا سوى مظهرها الخارجي دون أن يستطيعوا أدراك كنهها ، كل ذلك وإن كان لا يدل على رابطة وثيقة بين لوبين وبينى ، فإنه ينم عن صلة من الصداقة والثقة الطارئة بيننا .

ولكن كيف تهيأ لي أن أعرفه ؟ ولماذا جئاني بنفسه إلى حد أنني أصبحت مترجما لحياته ، راوية لحوادثه ؟ بل لماذا وقع اختيار القدر على دون فسرى من الناس أجمعين ؟

إن الجواب على هذه الأسئلة عسير .. فإن المصادفة وحدها هي التي أوجت بهذا الاختيار ، دون أن يكون راجعا لميزة تميزني عن سائر الناس .. تلك المصادفة هي التي زجت بي في طريقه ، وجعلتني وأيق الصلة بواحدة من أشد معاصراته غموضا وأهولها غرابة وطرافة .

وأخيرا فإن المصادفة كذلك هي التي جعلت مني

ممثلا في مسرحية كان هو مدير المسرح فيها والأصعب المحرك لها . . مسرحية غامضة معقدة مليئة بالمفاجآت والفواجع الخارقة ، بحيث يتمكن الدهول وتستبد بي الحيرة عندما أجلس الآن لوصفها .

بدأ الفصل الأول من هذه المسرحية في تلك الليلة الخالدة بين الليالي ، ليلة الثاني والعشرين من شهر يونيو .

وإني لأسارع إلى الاعتراف بأن السبب فيما بدأ من مسلكي القريب في تلك الليلة ، إنما يرجع إلى الحالة النفسية الشاذة التي كنت عليها عندما أويت إلى منزلي .

منزلي .. فقد تناولت العشاء مع ثلثة من الأصدقاء في **مطعم لاكاسكاد** المعروف ، وبينما أخذنا في خلال السهرة ندخن لغائفتنا ونستمع إلى الفرقة الموسيقية الحرة وهي تعزف الطان الفالسي الحزينة ، كان الحديث يدور بيننا حول جرائم القتل والسطو المروعة التي تبعث تفاصيلها على الرعب والغزع .. وتلك لعمري أسوأ بداية عندما يكون المرء مقبلا على النوم

والصرف آل سان هارتان في سيارتهم .. أما جان داسبري .. داسبري الرشيق الطروب ، متعة المجالس ومؤنس المجتمعات .. داسبري المنكود الذي جرى القضاء بان يلقي حقه بعد ستة شهور في ظروف البينة على الحدود المراكشية .. أما داسبري وأنا فقد مضينا سرا على الأقدام ، في الظلمة الخائكة والجر الخائق الحار ، حتى منزلي الصغير

في شارع مالو بحي نويلي ، حيث كنت اقيم خلال
الاثنى عشر شهرا الاخيرة .. واذ بلغنا المنزل قال
داسبري فجأة وفي رسالة غريبة :

- الا تشعر بالخوف يا صديقي ؟

- يا ليامن فكرة عجيبة !

- حسنا .. ان هذا المنزل الذي تقطنه بعيد عن
العمران ، لا يجاوره شيء من المساكن ، وتحيط به
ارض فضاء .. وانت تعلم اني لست جباناً .. ومع
ذلك قاني لا أجرؤ ...

فقاطعتني صامحاً :

- صه .. يا لله .. انك كثير الهلع الليلة !!

- هذا مجرد كلام يا صديقي كأي كلام آخر
كان يحتمل ان اتعلق به .. فان آل سان مارتان قد
اناروا اعصابي بحديثهم عن القتل وقطاع الطرق .
وتصافحنا .. وانصرف داسبري في طريقه ..
بينما اخرجت مفتاحي وفتحت الباب وما لبثت ان
قلت لنفسى :

- عجباً .. لقد نسي انطوان ان يترك لي شمعة
مضاءة

ولكني عدت فذكرت فجأة ان خادمي انطوان ليس
في المنزل فقد منحنه اجازة الليلة !

وانقبض قلبي لهذا الظلام الدامس والسكون
الموحش ، فأسرعت بما وسعني من جهد حتى ارتقيت
الدرج وبلغت حجرتي .. وعندئذ اوصدت الباب من
الداخل بالمفتاح ، على غير ما لوقت عادتي ، ثم دعمته
بالرتاج الحديدى وهو ما لم افعله قط من قبل .
واشعلت إحدى الشموع .. فعاد الضوء الى

نفسى بعض سسكينتها .. ومع ذلك فقد اخرجت
سدسى المضخم من جرابه ، ووضعت على الخوان
بحوار الفراش .. وكانما أفرخ روعي بعد هذه الحيلة
التي اتخسذتها ، فما لبثت ان اويت الى الفراش
وتناولت ، كعادتي ، الكتاب الذى اقرا فيه قايلاً كل
ليلة استجلاباً للنوم . !

وكانت تنتظرني مفاجأة رهيبة .

فحيث كان الفاصل الذى اضمه بالكتاب للدلالة على
الصفحة التي وفتت عندها ، وجدت غلافاً صغيراً
مختوماً بالشمع الاحمر .. ما كدت اقلبه في ليفة
حتى الفحته معنونا باسمى وعليه كلمة « عاجل » .

يا الهى .. هذا الخطاب .. الموجه لى . كيف
كيف وضع هنا ؟ ومن الذى استطاع ان يتسائل الى
مخلمي فيضعه فى كتابي ؟

وقضضته باصابع مرتعدة ، وقد توترت اعصابي
.. فاذا به رسالة هذا نصها :

« من اللحظة التي تفتح فيها هذا الخطاب ، عليك
ان تلبث ساكناً مهتماً حدث ، وهما سمعت .. واياك
ان تأتي بحركة او تنبس بصوت .. فاذا فعلت فعليك
العفاء ! .. »

وما كنت جباناً بدورى .. وكنت اعرف كيف يخلق
بالرجل ان يواجه الخطر الحقيقى ، او يتسليم للأوهام
التي قد تتملك مخيلته ... ولكنى اتود فأقرر اننى
كنت فى حالة نفسية شديدة الاضطراب - كما مر
القول - ورغم ذلك فان فى هذه الرسالة ما يبعث على
القلق .. ان فيها شيئاً لا يستطيع ان أدرك كنهه ،
ولكنه يكفى لازعاج اشد النفوس هداووا وسكينة .
وكانت اصابعى تعبت بالرسالة فى حركة مستمرة

تم على الانفعال ، بينما تعلقت انظارى بتلك الكلمات
التهديدية :

- « .. اياك ان تأتي بحجرة او تنبش بصوت ..
فاذا فعلت ، فعليك الغناء » .

وقلت لنفسي .

- هراء .. هذه مزحة سخيفة لا تيك فيها ..

وكدت اضحك ساخرا من الرسالة ومن نفسي .. بل
لقد هممت ان انفجر منقها بصوت عال .. ترى
ما الذي معنى واى فرع غامض كان يصفط على
حلقى ؟

واخيرا هممت بان اطفى الشمعة واحاول النوم
.. ولكن لا .. لم يعد بوسعى ان اطفئها فالرسالة
تقول : « اياك ان تأتي بحجرة » وهكذا لم يبق الا ان
اقمض عيني فاقمضتهما .

وفي تلك اللحظة شق السكون صوت خافت تلتته
ضوضاء وجلبة اخرى .. وبدا لى الهيا تنبعث من
الحجرة الفسيحة المجاورة ، والتي اتخذتها مكتبا
لئى ، ولا يفصلنى عنها الا المر .

وكان لاقتراب الخطر ما اشعل نار الحماسة فى
صدرى .. فشعرت باننى سوف اقفز من الفراش ،
وامسك بمسدسى ثم اندفع الى الحجرة المجاورة .
ولكنى لم اقفز من الفراش .. ففى تلك اللحظة
رايت احدا السهارة الناقدة اليسرى يتحرك امام
عيني .

لقد تحرك الستار ، ما فى ذلك شك او ريب ..
وهاجز لا يزال يهتز الآن .. بل لقد رايت فى وضوح
انه فى الفرجة الضيقة التى بين الستار والنافذة
كان يقف شيخ انسان وقد حال جسمه دون بقاء
الستار ساكنا .

وما من شك كذلك فى ان الشيخ قد راى .. فهو
يستطيع رؤيتى فى جلاء من الثغرات التى فى قماش
الستار .. وعندئذ هومت كل شىء .. فبينما كان
الآخرون يستطون على مقنناتى كانت همته ان يبعث
الربح الى قلبى .. وغدا من المستحيل ان اقفز
من الفراش او امسك بالمسدس .. فان اقل حركة
من جانبى ، او اقل صوت ينبعث من جهتى ، سوف
يدفعنى الى موت محقق .

واهتز المنزل كله من طريقة عنيفة تلتها طرقات
اخرى تنبعث متوالية ، كأنها وقع مطرقة ضخمة ..
وفى خلال ذلك لم تنقطع الاصوات الاخرى .. مطا
يدل على ان زوارى الكرام كانوا يعملون فى اطمئنان
بلع كل ما يحلو لهم ويطيب .

وكانوا على حق فى ذلك .. فما تحركت من مكاني
قيد انملة .. ترى هل كان ذلك عن جبن وخوف ؟
كلا .. بل الواقع انى كنت كالنمى وقعت فى غيبوبة
.. ولم يعد بوسعى ان احرك عضلة واحيدة فى
جسمى .. ولعلها كانت حكمة منى ايضا .. فلم اذا
النضال والقتال ؟ .. ان وراء هذا الرجل عشرة
آخريين سوف يخفون لشجده وشده ازره .. فهل
يستحق الامية ان اعرض حياتى للخطر فى سبيل
انقاذ بعض الصور والتحف ؟

ودام هذا العذب ليل بطوله .. عذب لا يطاق
والم ذريع لا يحتمل .. وكانت الضوضاء قد سكنت
.. والاصوات الاخرى قد انقطعت ، ولكنى لم اكف
لحظة عن ترقب عودتها من جديد .. ثم هذا الرجل
الذى يقف خلف الستار يوقبى .. وسلاحه فى يده

.. فيما كفت النظاري الهالعة عن التحديق فيه ..
وكان قلبي يخفق في عصف ، والعرق يتصبب من
جسمي كله باردا فزيرا .

وفجأة شمروني شعور عميق من الراحة والطمأنينة
.. فقد سمعت صليل عجالات عربة اللبن وهي
تمضي في الطريق .. وكنت أعرف ذلك الصوت جيدا
.. وعند ذلك تبينت أن الفجر قد بزغ وأن ضوءه
الباهت يتسلل الى الحجرة خلال الأستار المسدلة
على النوافذ .

وتوالي مرور عربات اللبن والخضار الأخرى ،
وارداد الضوء في الحجرة .. وعندئذ بدأت الأشباح
تتلاشى بعد أن ملأت حجروني الليل كله .
فعددت يدي خارج الفراش وأنا أصبح في فرح
وحشي .. واندفعت نحو الستار .. ورايت به تقبا
لا يزال للدخان ينبعث من اطرافه ، كما وجدت تقبا
آخر في مضراع الشاذة خلفه .
أما الرجل فلم أصبه .

وكان لذلك سبب واضح بسيط .. هو انه لم
يكن يوجد خلف الستار أي رجل على الإطلاق .

لم يكن يوجد احد !!

وهكذا كان الأمر طول الليل .. كانت ثنية كبيرة
في الستار هي التي شات حواسي كل هذه المدة ..
وجعلتني أشبه بشخص ينام يوما مغلطيسيا .. وفي
تلك الأثناء كان هؤلاء الأشقياء يعيشون بحجراتي
.. واندفعت من الفراش وقصد استبد بي حشوق
مظيم ، ففتحت باب الحجرة واجتازت المرءم فتحت
بابا آخر وانقضضت داخلا .

وعندئذ جمعدت في مكاني كالمأخوذ . . كانت
دهشتي أعظم من تلك التي تملكني عندما تبينت
عدم وجود احد خلف الستار .. فأم يخفق شيء
من الحجرة ولا تقص من عقنيتائي اصغر ما فيها ..
وكل تلك الأشياء التي توقعتم سرقتها واختفائها ..
الأثاث والصور والملفات الحريرية النفيسة وغيرها
.. كل هذه الأثناء كانت في مراضعها !!

كان المنظر الذي صادفتني لا يصدقه عقل . .
وظلمت انغمض عيني والمتحجها لاستتويق من أنني
لست حاملا .. والا فيما كانت اذن كل تلك العجلة
والضوضاء واصوات العالوق وصرير قطع الآلات
وهي تنقل من أماكنها .. ولم أكنف بالنظرة الأواى
وأنا مضيت أدور بالحجرة فأحصا مدققا ، أراجع
كل تحفة من مقتنيات التي اعرفها حتى المعرفة ..
فما ازددت الا يقينا بأنها جميعها تامة كاملة لا تنقص
شيئا .

ولكن الذي زاد من ضيقي وحنفي هو التي لم اجد
أثرا واحدا ينم عن مرور الأشقياء بتلك الحجرة ..
فما من مقعد ترحلج عن موضعه ، وما من اثر
لقدم أو علامة ليد .

وامسكت براسي بين يدي وغمضت أقول لنفسي :
أنى لم اجن بعد ، ولم أقال في الشراب ، ولا ربيب
أنى سمعت ما سمعته حقا .

وعدت افحص الحجرة بوصلة بوصلة ، وشبرا
بعد شبر ، مستخدما ادق ما عرفته من اساليب

البحث ، ولكني لم أتناه الى شيء .. والا فهل اعتبر ما وجدته اكتشافا ذا قيمة ؟ فقد رفعت طرف احد الاسطحة الفارسية الثمينة المفروشة على الارض ، واذا تحتيها ورقة من ورق اللعب .. وكانت سبعة الكوبا (القلب) .. وهي ورقة كالة واحدة من ورق اللعب الفارسي .. ولكنها استرعت انتباهي لشيء عجيب تبينه فيها ، فقد كان الطرف الأسفل لكل من القلوب الحمراء السبعة مشهوريا تقيا صفرا مستندرا منتظما .

كان هذا ما وجدته .. ولا شيء غيره .. ورقة من ورق اللعب ، وخطيبا داخل كتاب .. فهل يكفي ذلك للدلالة على أنني لم أكن ضحية حلم رهيب ؟

وواليت أبحثي طيلة النهار في الحجرة .. وكانت شديدة السعة بما لا يوائم بقية الأحجار التي كانت ضيقة الى حد ما .. وكانت نقوشها تنم على غرابة أطوار الرجل الذي رسمها ووضع تصميمها .. كانت أرضها من البلاط الملون الصغير الحجم ، كما كانت جدرانها مكسوة بمثل هذا البلاط في رسوم غريبة من الطراز الروماني والبيزنطي .. وكانت على احد الجدران صورة بارزة لاله الخمر يمتطي برميلا .. وعلى جدار آخر كانت صورة امبراطور روماني على رأسه تاج من الذهب وتندى لحيته الطويلة فسوق صدره ، بينما يرفع يده اليمنى سيفا مسلولا .

أما النافذة الوحيدة للحجرة فكانت مرتفعة عريضة ، كذلك التي توجد في مراسم المصورين .. وكنت اتركها مفتوحة طوال الليل ، وهي السبيل الوحيد للدخول للصوم اذا ما استعانوا بسلم طويل

.. ولكن هذا الافتراض لم يبق ما يدعمه ، فقد فحصت الرض الحديقة جيدا فلم أجد تلك الآثار التي تتركها أقوالم السلام .. كما كان العشب في ذلك الموضع مستويا على سوقه ينطق بأنه لم يوطأ بقدم واحدة .

واعترف أن فكرة الاستعانة برجال البوليس لم تختار بيالي ذلك .. فإن الوقائع كما هي لدى اسخف من ان أسطحا امامهم .. ولعلمهم سيضحكون مني ساخرين اذا حدثت بهم عنها .

وكان اليوم التالي هو المخصص للصفحة التي احرقها بجريدة جيل بلاس .. ولما كنت لا تزال متأارا من معامركي هذه فقد رحلت اوروبلا بالتفصيل الدقيق على صفحات الجريدة .

وقد تلقى القراء مقلتي في غير اكترات ، ونظروا اليه بحسبانة قصة خيالية اكثر منها حادثة حقيقية .. بل ان آل سبان عارثان واحوا يسخرون مني ومن قصتي .

لما صديقي داسبري ، وهو على كثير من الخبرة في مثل هذه الامور ، فقد حضر لمقابلتي وطلب مني ان اشرح له القصة كلها بصدق تفاصيلها .. واخذ يدرسها معي .. ولكنه لم يوفق الى تعليل لها باكثر مما وفقت .

وما مضت بضعة أيام حتى قرع جرس الباب الخارجى ذات صباح ، ثم أتى خادمي انظر ان ايلفني ان رجلا يريد مقابلتي ، ولكنه رفض ان يذكر اسمه .. فأمرته باحضاره .

وكان الرجل في نحو الأربعين من العمر شديد
السمر ، ذا ملامح بادية الصرامة وكانت ثيابه ، على
قدمها ، نظيفة ، تم على ذوق سليم ، ولو أن الرجل
نفسه كان عامي الحركات .

ومضى زأوري نحو هدفه قلما ، فقال في صوت
متهدج ولكنة اجنبية :

- لقد كنت مسافرا يا سيدي ووقعت انظارى
على مقالك في صحيفة جيل بلاس في احد المقاهى
فقرانه في امعان واهتمت به كل الاهتمام .
- شكرا لك .

- ولما عدت من رحلتى اتيت اليك من فوري ..
فهل جميع الوقائع التى ذكرتها صحيحة ؟
- كل الصحة .

- اليس فيها واقعة واحدة ابتكرتها مخيلتك ؟
- كلا البتة .

- فى هذه الحالة من المحتمل ان تكون لىدى
معلومات يمكن ان اولى بها اليك .

- ارجوك ان تعجل بها اذن .
- كلا ..
- ماذا تعنى بحق الشيطان .

- قبل ان اقول حرفا واحدا ينبغى ان استوثق
اولا من اننى على صواب .

- وما السبيل الى ذلك ؟

- هو ان ابقى بمفردى برهة فى تلك الحجرة .
فتطلعت اليه فى دهشة وقلت منمقما :
- لست افهم تماما .

- انها فكرة طرات لى عندما قرأت مقالك .
فان بعض الوقائع التى ذكرتها تنشىء توافقا عجيبا

بين مغامرتك هذه ومغامرة اخرى عرفت بها بمحض
الصدفة .. فاذا كنت مخطئا فى استنتاجى فمن
الخير ان انخذ الى الصمت .. والسبيل الوحيد
الى التاكيد ان اظل منفردا .

ترى ما الذى يرمى اليه الرجل من وراء هذا
الافتراح ؟ وقد ذكرت فيما بعد ان الرجل اذ كان
يطلب منى ذلك ، كان يبدو قلقا وفى عينيه لمحة تتم
على النفقة .. ولكنى وقتئذ على الرغم من دهشتى ،
لم ار فيما يطلبه شيئا خارقا غير ما لو ان ، فضلا
من ان فضوله قد اثارنى ، فقلت :

- حسنا .. كم من الوقت يكفيك ؟

- آه .. حسنى ثلاث دقائق .. وهذا كل شىء
.. وسوف اعود اليك بعد هذه الدقائق الثلاث .

فقدارت الحجرة وهبطت الى الطابق الاسفل ،
حيث اخرجت ساعتى .. لقد مضت دقيقة .. ثم
دقيقتان .. ولست ادرى سر ذلك الانقباض الذى
تلكنى وقتئذ .. ورحت اتساءل : لساذا تمضى هذه
الدقائق متناقلة بطيئة ؟

دقيقتان ونصف .. دقيقتان وخمسة واربعون
ثانية .

وعندئذ سمعت فجأة طلعا لاريا يدوى فى جنبات
المنزل .

واندفعت نحو الدرج ارتقيه فى بضع وثبات ..
وولجت الحجرة .. واذا بصيحة فرغ عالية تنطلق
من بين شفتى .

كان الرجل ملقى على جنبه الايسر بلا حراك ،
والدم ينثشق من رأسه ، على حين كان يمسك بيده
مسدسا لا يزال الدخان ينبعث من فوهته .

وانطق جسمه انتفاضة الخسرة .. ثم انتهى كل
ذوق .

بيد انه كان هناك شيء استرعى انتباهي اكثر من
هذا المنظر المروع .. شيء جعلني التريث قليلا في
الاستغاثة أو الركوع بجوار القتيل لأرى ان كانت
لا تزال به بقية من الحياة .

اقامى قيد خطوتين منه ، كانت على الأرض ورقة
من ورق اللعب هي سبعة الكوبيا !!

وعندما التقطتها لاناملها من كتب الفيت الاطراف
السفلى للقلوب جميعها مثقوبة ثقوبا منتظمة
مستديرة .

وبعد نصف ساعة وصل فرميسر البوليس ، وما
لبث أن تبعه الطبيب الشرعي ، ثم مسيو ديلوى
مدير ادارة المباحث الجنائية .. وقد كنت حريصا
على لمس الجنة .. وبذلك لم ادخل بما قد يفسر
على لمس الجنة .. وبذلك لم ادخل بما قد يضر
عمل هي لاء الاخصائيين .. وكنت ملاحظتهم قليلة
في بادئ الامر .. فلم يكتشفوا شيئا ذا أهمية ..
ولم يجدوا في جيوب القتيل أوراقا تحمل اسمه ..
كما كانت نياحه لا تحمل أية علامة تهدي الى مكان
شراؤها .. وبالاختصار لم يكن ثمة شيء يتم على
شخصيته .

اما الفرقة نفسها فكانت في نظامها العادى .. فلم
ينحسرك شيء من محتوياتها التي كانت جميعها في
مواضعها الأصلية .. ومع ذلك فان الرجل لم يحضر
الى هنا لمجرد الانتحار في منزلى .. لا ريب أن هناك

باعنا معينا دفعه الى اليأس فقتل نفسه .. ولا ريب
كذلك في أن هذا البناء قيد نشأ من أمر اكتشافها
خلال الدقائق الثلاث التي قضاها في الحجرة منفردا .
ولكن ما هذه الامور ؟ وما الذي رآه أو اكتشفه ؟
واى سر رهيب عثر غايبه ؟ .. ذلك ما لا يستطيع
ان اعرفه .

وفي اللحظة الاخيرة حدث امر خيل اليانا انه على
جانب كبير من الأهمية .. فقد انحنى رجال البوليس
ليرفعوا الجنة توطئة لوضعها فوق إحدى النغالات
لتحمل الى معرض الجثث ، فاذا بيده البرعى التي
كانت مطبقة ، قد تراخت وسقطت منها بطاقة زيارة
مفضنة .. وكانت البطاقة تحمل هذه الكلمات :

« جورج أندرمات . ٢٧ شارع بيرى » .

ترى ما معنى ذلك ؟ كان جورج أندرمات احد كبار
رجال الأعمال في باريس .. فهو مؤسس ورئيس
مجلس ادارة شركة اتحاد المعادن التي كانت تقوم
بقتط واقف في سبيل ازدهار تجارة المعادن بفرنسا
.. وكان يقيم في قصر عظيم ويميش غيشة باذخة ،
ويقتنى كثيرا من السيارات واسطبلات لخيل
السياف .. وكانت الحفلات التي يقيمها تزخر
بالصفوة من أهل باريس كما كانت مدام أندرمات
مشهورة بسحرها وجمالها الغائن .

وغضمت اقول : ايكون هذا اسم الرجل ؟

— كلا . فان مسيو أندرمات رجل نحيل الوجه
وقد بدأ الشيب يخط شعره .

— ولكن هذه البطاقة ؟

— سوف ترى .. هل تسمح لى باستخدام
التليفون يا سيدى ؟

- بلا شك .. انه في الردعة .
وصحبتة الى التليفون حيث اتصل بالدرمات
وطلب اليه ان ياتى بالقصى سرعة الى رقم ١٠٢ شارع
عالو .

فلم تمض عشرون دقيقة حتى كان مسبب الدرمامات
يبحث من سيارته امام المنزل .. فآخبره مدير
الشرطة بالسبب الذي دعاه من اجله ، ثم صحبه
الى الحجرة العليا ليرى الجنة وما كادت تقع نظاره
عليها حتى بدأ عليه الانفعال ، وقطب حاجبيه وهو
يشغف في صوت خافت كانما افلتت الكلمات من فمه
ورغم ارادته : يا الله .. انه اتين فاران !
- هل تعرفه يا سيدى ؟

- كلا .. انما اعرفه بالنظر فقط .. فان اخاه ..
- اه .. هل له اخ ؟

- نعم .. الفريد فاران .. وقد اعتاد ان يتردد
على ليكلى ان اساعده .. ولست اذكر الان فيما
كان يريد مساعدتى .

- هل تعرف ابن يقطن ؟

- لقد اعتاد الاخوان ان يقيما معا .. في شارع
بروفانس على ما اظن .

- ليست لديك فكرة عن السبب الذي يدفعه
لاطلاق النار على نفسه ؟
- كلا البنت .

- ومع ذلك فقد كان يمسك ببطاقتك في يده .
- هذا ما لا استطيع فهمه .. فلا ريب انها مجرد
مصادفة سوف يكشف التحقيق عنها . لا شك انها
- في رايى - مصادفة عجيبة تلك التى بزعمها مسير

الدرمات (واحسب ان شعور الآخرين في ذلك كان
شيئا شعورى .. بل لقد تبينت ان الراى العام
يشاطرنى شعورى هذا عندما قرأت صحف الصباح
وعندما تناقشت في الحادث مع اصدقائى .

وكان ينبغي ان تكون هذه البطاقة بشرا بانثاق
الضوء اللذى يبدد ظلمات هذه الحوادث .. بعد ان
زادت من تعقيدها ورقمنا اللعيب المتشابهتان (سبعة
الكوبا) ذات التقويم السبعة في كل منهما .. وهذان
الحادثان الغريبان اللذان كان منزلى مسرحا لهما ..
فبواسطة هذه البطاقة قد يصل البوليس الى
الحقيقة .

ولكن مسير الدرمامات ، على عكس ما توقعه
الجميع ، لم يقدم مفتاحا واحدا لهذا اللغز .. وكان
لا يقنا يردد : لقد قات كل ما اعرفه .. فعماذا اوسعى
ان افعل اكثر من ذلك .. لقد كنت انا اول من صعلق
لهذه المفاجأة عندما علمت ان بطاقتى وجدت حيث
كانت .. والى كلئى شخص آخر انظر في لهفة جلاء
هذا الامر .

ومع ذلك فان هذه النقطه لم يمكن جلاؤها ..
وقد اظهر التحقيق ان الاخوين فاران ، وهما من
اصل سويسرى ، كانا يعيشان عيشة مربية ، باسماء
مستعارة ، وبرتادان بيوت الميسر ، وعلى صلة وثيقة
بعضانية من الاجانب كانت حرمانها مريض من اقبه
رجال البوليس ، وقد تشتت شملها عقب غلده
حوادث من حوادث السطو ، ولو ان اشتراك الآخرين
في هذه الحوادث لم يثبت الا فيها بعد .. وقد ظهر
ان الاخوين فلاران كانا يقيمان في منزل بشارع

اندرمات الذي كان قد أسس للتو اتصالات المسادين
الباريسي .

وبعد عبيد من الاتصالات والمقابلات نجح في إثارة
اهتمام مسيو اندرمات بتصميم الفواصة التي كان
يشتغل في اختراعها .. وكان المفهوم أنه بمجرد اهتمام
الاختراع فان مسيو اندرمات سوف يستخدم نفوذه
في اقتناع وزير البحرية بالموافقة على اجراء سلسلة
من التجارب عليها .

وظل لويس لاكومب علمين كاملين يتردد على دار
اندرمات ويعرض على المالى نتائج التحسينات التي
يدخلها على اختراعه ، حتى أتى اليوم الذي وصل
فيه الى التصميم الأخير الذي كان يسعى وراءه حتى
اذا ما رضى عن نتيجة عمله طاب الى مسيو اندرمات
أن يبدأ المهمة التي تعهد بها .

وفي ذلك اليوم تناول لاكومب طعام العشاء على
مائدة آل اندرمات .. ثم غادر المنزل في الحادية
عشرة والنصف مساء .

ومنذ ذلك الحين لم تقم على اويس لاكومب عين
انسان .

وبالرجوع الى الصحف الصادرة في ذلك الحين ،
نجده ان عائلة المهندس الشاب ابلفت البوليس عن
اختفائه ، كما ان المدعى العام تولى تحقيق الأمر بنفسه
.. ولكن التحريات لم تسفر عن أية نتيجة . وسرى
الاعتقاد بأن لويس لاكومب ، وقد كُنَّ يعد شهابا
غريب الأطوار منطويا على نفسه ، قد سافر الى
الخارج دون أن يخبر أحدا من أهله او اصديقاته
بعزمه ..

ولو فیلنا الفرض ، وهو بعيد الاحتمال الى حد
ما ، فاننا نجد انفسنا امام سؤال على جانب كبير من
الأهمية والخطورة بالنسبة للوطن .. وهو : ما الذى
انتهى اليه امر الاختراع ؟ وهل أخذ لويس لاكومب
رسوم الفواصة معه ؟ ام انها اتلفت او اعدمت

وقد قمنا بتحريات واسعة النطاق انتهت الى أن
رسوم الفواصة لا تزال موجودة .. وانها كانت بين
الاخوان فاران .. فكيف استطاع الاستيلاء عليها
.. هذا ما لم نفلح في استقصائه بعد ، كما لم يمكننا
معرفة السبب في انهما لم يحاولا بيعها قبل ذلك ..
ولعلها خشيا أن يسألا عن كيفية حصولها عليها ..
ومهما يكن من أمر فان هذا الخوف ما لبث ان تلاشى
على مر السنين ، وما نحن الآن ملكا لحكومة اجنبية
.. بل اذا دعت الضرورة فان في وسعنا نشر الخطابات
التي تبسودت بين ممثلى تلك الدولة وبين الأخوين
فاران ..

وقد عامنا عند كتابة هذه السطور أن الفواصة
(سبعة الكوبا) التي اخترعها لويس لاكومب قد
اخرجها جيراننا الى حيز الوجود .. وهم يههون الآن
بتجربتها ..

فهل تخيب التجسرية آمال أولئك الرجال الذين
ارتكبوا اثم هذه الخيانة ؟ .. ان لدينا من الأسباب
ما يدعو الى أن نرجو ذلك .. بل اننا لنهنيء انفسنا
من الآن بأن الحوادث ستتحقق ما نقول « .
وتلت ذلك حاشية جاء فيها

« لقد كان ما رجوناه صحيحا كل الصحة .. فقد
تلقينا من مصادرنا الخاصة ، ساعة مثل الصحيفة
للطبع ، أنباء هامة تدل على أن تجسرية الفواصة

(سبعة الكوبا) لم تؤد الى نتائج مرضية .. والارجح ان الرسوم الى سماعها الاخسوان فاران كانت تنقص المستند الاخير الذي احضره لويس لاومب الى مسيو اندرمت لينة اختفاه .. وهو مستند ضرورى لفهم الاختراع فهما كاهلا ، اذ هو مخصص للنتائج والمعادلات المبينة تفصيلا في الرسوم والاوراق الاخرى .. واليون هذا المستند تظل الرسوم غير تامة كما انه عديم الجدوى ما لم تكن معه الرسوم ..

« لنتك فان الفرصة لم تفسح منا بعد للعمل اجدى واسترداد ما يخصنا .. ونحن نعتمد في هذه المهمة المسيرة على مهونة مسيو اندرمت كل الاعتماد .. كما أننا في لهذة الى سماع ايضا مساحه للمساك القريب الذى سلكه منذ البداية .. وعليه ان يقل لنا اننا لم نخبرنا بها يعرفه عندما انتخر آتين فاران .. ولذا لم يذكر فقط شيئا عن ضياع الاوراق التى كانت في حوزته .. وسوف يقول لنا ايضا السبب الذى حدا به الى مراقبة الاخسوان فاران طوال السنوات الست لماضية ، بواسطة مخبرين سرين على نفقته الخاصة ..

« اننا ننتظر افعالا لا اقوالا .. والا ...

واختهى المقال وحاشيته بهذا الوعيد القاسى .. ولكن .. ولكن اية قوة يمتلكها هذا الوعيد ؟ وما هى الوسائل التى يستطيع بها « سلفاتور » ذلك الكاتب المجهول ارقام مسيو اندرمت او اقراءه على الكلام ؟ . وتدافع مندوب الصحف نحو مسيو اندرمت بسؤالونه رايه ، وما لبثت مقالاتهم ان راحت تصف حنق مسيو اندرمت وانكاره لهذه الاقوال التى نسبت اليه .. وعندئذ نشر سلفاتور فى صوت فريسا تعليقا

موجزا قال فيه :

« ان مسيو اندرمت ، سواء رضى ام كان كلاها ، سواء يصيح منذ اليوم عوننا فى المهمة التى اضطلعنا بها واخذناها على عاتقنا » .

وفى اليوم الذى نشر فيه هذا التعليق كان جاسبرى يتناول معى طعام الفداء ... فلما فرغنا منه جلسنا نتدارس هذه القضية ، والصحف منشورة الى المائدة امامنا ، وتقلب الراى فيها من مختلف وجهات النظر ، وقد خالجتنا ذلك الشعور من الضيق والحق الذى يشعر به المرء عندما يسير فى ظلام حالك لا نهاية له وهو يتعثر دائما فى العقبات التى تصادفه . وفيما نحن كذلك اذ بالباب يفتح بفتحة ، وتبدو منه سيد تسدل على وجهها قناعا كئيفا .. فعجبت اذ لم اسمع جرس الباب الخارجى يقرع من قبل .. ونهضت فى الحال لاستقبالها ، فقالت : هل أنت السيد الذى يقيم هنا ؟

- نعم يا سيدتى .. ولكنى ...
- لقد كان الباب الخارجى مفتوحا ..
- ولكن باب المنزل ...

فلم تحرج جوابا .. وعندئذ ادركت انها ولا ريب قد دخلت من باب الخدم .. اتراها اذن تعرف الطريق جيدا ؟ .

وساد بعد ذلك صمت ثقيل ، كانت السيدة خلاله تنظر نحو داسبرى فى تساؤل ، فقدمته اليها ثم رجوتها ان تجلس وتخبرني بموضوع زيارتها ..

وعندئذ رفعت قناعها ، فرأيت وجهها صبيحا تحت كوكبه من الشعر الاسد الناعم اللفها ف .. كما ادركت

انها ذات فطنة طاغية وسحر لا يقاوم بلوح اكثر ما بلوح من عينيها الناصبتين الحزيمتين .
وما واثبت ان قلت في بساطة :

- اننى مدام اندرومات .

فهتفت وقد زادت دهشتى : مدام اندرومات ؟ !

ولم تنبس بحرف فترة طويلة ، ثم قالت اخيرا في صوت هادى ونبرات رصينة :

- لقد حضرت بشأن ذلك الموضوع الذى تعرفه ... وقد حسبت انك تستطيع ان تمدنى ببعض المعلومات .

- اننى يا سيدتى لا اعرف عن هذا الامر اكثر مما نشر في الصحف .. وارجو ان تذكرى لى على وجه التحديد نوع الخدمة التى تريدونها منى .
- لست ادرى .. لست ادرى تماما .

وعندئذ فقط ادركت ان ذلك الهدوء الذى يشتملها ليس الا هدوءا ظاهريا ، وان وراء هذا المظهر الساكن اربابا متاججة الاوار .. لذلك لم اجد ما يمكن ان اقوله كما لزمتم الصمت بالمثل .

بيد ان داسبرى ، ولم يمكن قد كف لحظة عن التفرس فيها ، نهض من مكانه واقتراب منها قائلا : هل تسامحين لى انلقى عليك بضعة أسئلة يا سيدتى ؟ فصاحت : نعم .. نعم .. سوف اتكلم اذا فعلت .

- هل تتكلمين .. مهبطا كانت الاسئلة ؟

- اجل .. مهبطا كانت .

ففكر لحظة ، ثم سالها : هل كنت تعرفين لويس لاكومب ؟

- نعم .. عن طريق زوجى . تى رأيتنه آخر مرة ؟

- فى الليلة التى تناول فيها طعام العشاء معنا .

- الم يحدث فى تلك ما أوجى اليك انك لن تربه ثانية ؟

- كلا .. فقد قال شيئا عن اعتزامه القيام برحلة الى روسيا .. ولكنه كان مجرد تلميح مبهم ..

- وعلى ذلك كنت تتوقعين رؤيته قريبا ؟

- نعم .. بعد يومين .. لتناول العشاء معنا ايضا .

- وكيف تعلمين اختفاءه اذن ؟

- ليس فى مقدورى ان اعلمه .

- ومسيرو اندرومات ؟

- لا ادرى .. ولا تسلىنى عن ذلك .

- ومع ذلك فان المقال الذى نشر بصحيفة صوت فرنسا يوحى بأن ..

- ان ما يوحى به هو ان الاخوين فاران لهما صلة باختفائه .

- اهذا رايتك ايضا ؟ - نعم .

- وعلى اى شىء تبينين اعتقادك هذا ؟

- عندما غادر لويس لاكومب منزلنا ، كان يحمل

حافظة تحوى جميع الاوراق المتعلقة باختراعه ..

وبعد يومين اجتمع زوجى مع احد الاخوين ، وهو

الذى لا يزال على قيد الحياة ، وعلى قيد الحياة ،

وعلى اثر ذلك الاجتماع اقتنع زوجى بان هذه الاوراق

قد غدت فى حوزة الاخوين ..

- ومع ذلك فانه لم يتقدم بالشكوى ضدكما ؟

- كلاهما - لماذا ؟

- لان الحافظة كانت تحوى شيئا آخر بجانب

اوراق الاختراع لويس لاكومب .

- وما هو ذلك ؟

فترددت السيدة ، وبدا كأنها تهم بالإجابة وأخيراً
أخلدت إلى الصمت ، فاستطرد داسبري : إذن فهذا
هو السبب الذي جعل زوجك يراقب الأخوين بواسطة
المخبرين الخصوصيين دون أن يلجأ الرجال البوليس ؟
كان يرجو أن يستعيد أوراق الاختراع وذلك الشيء
الأخر الذي كان الأخوين يستخدمانه في ابتزاز المال
منه بالتهديد ؟ .

- نعم .. منه .. ومنى .

- آه ! .. منك أيضاً ؟ - منى بصفتها خاصة .
نظمت بهذه الكلمات الثلاث في صوت أجوف ..
برمقها داسبري ملياً ، ثم سار يضع خطرات وما لبثت
أن عاد إليها قائلاً :

هل اعتدت أن تكتبي إلى لويس لاكومب ؟

- بلا شك .. فن زوجي كان يعد لي من أجله .

- دعينا من هذه الخطابات الرسمية ، ألم تكتبي
إلى لويس لاكومب خطابات أخرى ؟ أرجو أن تغفري
لي هذا الإلحاح ، ولكن من الضروري أن أعرف
الحقيقة بحدافيرها . هل كتبت إليه خطابات أخرى ؟
فأشند أحوار وجهها ، وغمغمت : نعم .

- وهل عيذه الخطابات هي التي وقعت في يد
الأخوين غاران ؟

- نعم -
- إذن فقلنا عرفت مسيو الدمونات
كل شيء ؟

- أنه لم ير الخطابات قط .. ولكن الفريد غاران
أخبره بوجودها وتوعدته بنشرها في الصحف إذا ما
اتخذ زوجي أية خطوة ضده .. فخاف زوجي إذ كان
يخشى الفضيحة .

- ولكنه بذل كل جهده في استرداد الخطابات
منهما .

- نعم .. أو هذا على الأقل ما اعتقده ، فلما به منذ
ذلك اليوم الذي اجتمع فيه بالفريد غاران ، وبعد
تلك الكلمات القلائل القاسية التي أخبرني بها بالأمر ،
لم تعد الصلة بين زوجي وبينى كما كانت من قبل ،
إذ فقدت الثقة بيننا وأصبحنا نعيش معاً كائنين من
الغرباء .

- إذا كان الأمر كذلك ، وإذا لم يكن لديك ما تخشيه
منه ، فلماذا تخافين ؟ .

- انني مهتماً كان من أمر الجفيرة التي نسبت بينه
وبيني ، فلا أزال المرأة التي أحبها ذات يوم ، والمرأة
التي لا يزال في وسعي أن يحبها .

وانقلب كلامها همساً متهدجاً ، وهي تضيف :

- نعم .. ان حبه لي ما كان ليقترب أو يخمد لهيبه
لو لم يسوع عن تلك الخطابات اللعينة ، أو يحصل
عليها .

- ماذا لا .. هل نجح في الحصول عليها ؟ ولكن
لا ريب أن الأخوين قد اتخذوا حيلهم ، حتى لا يتمكن
من الوصول إلى الأوراق ؟ .

- نعم .. بل لهما ، فيما يبدو ، كانا يفخران بأن
لديهما مخبأ أميناً .

- حسناً . - ولكني اعتقد أن زوجي قد
التدى إلى ذلك المخبأ .

- حقاً .. وأين وجدته ؟ - هنا .

فأجفلت وانبعثت قائلاً ، وإيا أكرر كلماتها : هنا !!
واستطردت مدام الدمونات قائلة :

- نعم .. وقد كنت دائما ارتاب في وجوده .. فان لويس لاكومب ، الذي كان شهيديا البراعة ويهوى الاشياء الالية المعقدة ، اعتاد ان يتسلى في اوقات فراغه بعمل الاقفال والخزائن السرية .. ولا بد ان الاخوين فاران قد اكتشفا احدي هذه الخزائن واعتادا ان يستخدموها في خفاء الخطابات وغير ذلك من الاشياء التي يريدان اخفائها .

فصحت قائلا : ولكنهما لم يسكنا في هذا المنزل !
- لقد ظل هذا المنزل خاليا الى ان حضرت منذ بضعة شهور .. ومن المحتمل انهما اعتاد التردد عليه ، ولم يرفا في وجودك ما يضايقهما عندما يرغبان في اخذ اوراقهما من هنا .. ولكنهما غفلا عن زوجي ، وانه الذي استطاع في ليلة الثاني والعشرين من شهر يونيو ، اقتصاف الخزانة ، واخذ ما كان يبحث عنه . لم ترك بطاقته مكانا ليعرف الاخوان تماما ان القدر قد قلب لهما ظهر المجن ، وانه لم يعد في مقدورهما تهديده بعد ذلك .. وبعد يومين ، اتى اليك اتينين فاران مسرعا ، على اثر اطلاعه على مقلتك في صحيفة جيل بلاس ، فلما تركته في هذه الحجرة وحيدا فتح الخزانية فوجدتها خاوية .. وعندئذ اطلق على نفسه الرصاص .

وبعد صمت يسير سالها داسبري :

- هذا كله مجرد استنتاج وتخمين بلا ريب .. اليس كذلك ؟ هل قال لك مسيو اندرمات شيئا ؟
- وهل تغير مسلكه حبالك ؟ ألم يبد لك انه غدا اشهر قائما او حنقا ؟

- كلا .

- الا ترى انه كان خليقا بان يبدو كذلك اذا كان قد عثر على الخطابات ؟ .. اتنى من جانبى لا اعتقد البتة انه عثر عليها .. وفي رايى ان شخصا آخر هو الذى دخل هنا .

- ولكن من يمكن ان يكون ؟

- انه الشخص الخفى الذى يحرك هذه الحوادث ويمسك بخيوطها بين يديه ، ويوجهها الى الهدف الذى يسعى اليه والذى لا ترى عنه الا بصيصا ضئيلا من الضياء بين هذه الحوادث المعقدة .. انه الشخص الضامض الذى يحس الجميع قوته الخفية الرهيبة منذ البداية .. فهو الذى جاء مع اعوانه الى هنا ليلة الثاني والعشرين من شهر يونيو .. وهو الذى اكتشف الخبء السرى ، وترك خلفه بطاقة مسيو وهو الذى استولى على اوراق الاخوين افاران وعلى الرسائل التى تثبت عليهما جرائمة الخيانة العظمى ..
فصحت اقاطعه في حنق وصبر نافذ :

- ولكن من هو هذا ؟

- انه ذلك الذى يبحث بمقالته الى «صوت فرنسا» بلا ريب .. سلفاتور .. اليس الدايسل على ذلك واضحا كل الرضوح ؟ الا تحوى مقالته من التفاصيل الدقيقة مالا يعبرفه الا الرجل الذى كشف سر الاخوين ؟

فترنحت مدام اندرمات ، وقالت في طلع :

- في هذه الحظة ذية قد استولى على خطباتى بالمثل ، وسوف يلجأ الى تهديد زوجى بدورة .. ريباه .. ماذا أستطيع ان افعل الآن بحق السماء ؟

فقال داسبري في صراحة :

- اكتبى اليه .. وضعى نقتك فيه مباشرة ..
اخبريه بكل ما تعرفينه ، وكل ما يمكنك أن تعرفينه
.. فان مصالحكما متفقة .. ولا توجد ذرة من الشك
في أنه الآن النما يعمل ضد البلاغى على قيد الحياة
من الآخرين .. انه يبحث عن سلاح ضد الفريد فاران
.. لا ضد مسيو أندومات .. فعليك أن تقدمى له
كل معونة ممكنة .

- ولكن .. كيف ؟

- هل لدى زوجك ملك المستند الذى يتهم - رسوم
اختراع اويس لاکومب ويجعلها صالحة للتشفيد ؟
- نعم .

- اخبرى سلفاتور بذلك .. واذا احتاج الامر
فاجتهدى في الحصول على هذا المستند من اجاه ..
وبالاختصار عليك أن تتصلى به ، فليس لديك ما
تخاطرين به الآنا .

وكانت هذه النصحية بالغة الحرارة وقد بدت لأول
وهلة شديدة الخطورة .. ولكن مدام أندومات المنكودة
لم يكن لديها سبيل للاختيار .. ثم أنها - كل قال
داسبرى - لم تكن تظاظر بشيء البتة .. واذا كان
هذا الشخص المجهول عدوا لها فان تلك الخطورة لن
تزيد مركزها سوءا عما كان من قبل .. واذا كان
أجنبيا يسعى وراء هدف خاص فانه لن يعلق على
هذه الخطابات سوى أهمية ثانوية .

ومهما يكن من امر ، فسان مدام أندومات مع
اضطرابها وتبيل أفكارها ، رأت في هذه الفكرة
ما يهدىء من روعها .. فشكرنا في حرارة ووعدت
بان نطلعنا على ما يتم أولا بأول .

وبعد يومين أرسلت الينا رقعة موجزة تلقتها ردا
على ما كتبتة اليه .. وقد جاء بها :
« ان الخطابات لم تكن هناك .. واسكن هدى
روعك ، فسوف احصل عليها .. ونقى أنتى مهنى
بكل شيء . (س) » .

واذ وقعت انقلابى على هذه الورقة عرفت فيها
نفس الخط الذى كتبت به الرسالة التى وجدتها
في حجرتى ليلة الثانى والعشرين من يونيو !!
وهكذا كان داسبرى على حق .. وكان سلفاتور
هو المحرك الاعظم لهذه الاحداث جميعها .

كنا في الواقع قد بدأنا نرى بصيصا ضئيلا من
النور بين الظلمات التى تحيط بنا ، مما جلا امامنا
بعض النقاط الغامضة جلاء غير متوقع .. ومع ذلك
فقد ظل بعضها شديد الغموض لا نفهم كنهه ، كورقتى
للعب المثلثتين اللتين اكتشفتها في حجرتى .. وقد
ظللت دائم التفكير فيهما ، والحيرة تستبدى وتزداد
ساعة بعد ساعة ، ولا سيما الثغوب السبعة التى
رايتها في كل منهما وفي ظروف رهيبه .. فآى دور
تلعبه هالان الورقتان في تلك المسألة ؟ .. وما مدى
الأهمية التى ينبغى أن نعلقها عليهما ؟ .. وما هى
النتيجة التى نستخلصها من أن الغواصة التى وضع
اويس لاکومب تصميمها تحمل اسم « سمعة السكوبا » ؟
أما جان داسبرى فلم يكن يولى وورقتى اللعب
الا اهتماما قليلا .. ولكنه كان يكرس نفسه
لدراسة مشكلة اخرى كانت في نظره أولى بالعمل
السريع الحاسم .. كان يبحث في جهد لا بكل ولا يفتقر
عن المخبا السرى .. وكان يقول :

من يدري ؟ ربما استطعت ان اعثر على الخطايات
التي تسبب سلفاتور في الاحتذاء اليها ، فضلا لعنه
من قبيل السيوف . . فانه لمن العسير ان يتصور
المرء ان ياخذ الاخوان هذا السلاح القاتك الذي
يعرفان قيمته من المكان الذي يعدونه في مامن من
الاكتشاف .

ومضى يبحث ويبحث في البحث . . وسرعان ما فرغ
من بحثه في الحجرة الكبرى ، فأوسع نطاق البحث
الى باقي الحجرات . . لم يدع مكانا واحدا في المنزل
لم يفحصه من الداخل والخارج ، ولم يتترك حجرا
واحدا في الجدران دون ان يقرعه ليتحقق من انه ليس
مجوفا . . حتى السقف لم تسلم من فحصه
الدقيق .

وذات يوم حضر يحمل معولا ومجرافا ، ثم اشار
الى الارض الفضاء المحيطة بالمنزل . . وقال :
تعال معي .

وتبعته في غير حذاسة ، وقد حملني المجراف
واحتفظ بالمعول معه . . وقسم الارض عدة اقسام
راجع يفحصها واحدا بعد الآخر ، الى ان استرعى
السياسة في احد الأركان بين جدارين قديمين لاسوار
المتزلزلين المجاورين كرمة من الاحجار والاثربة نما فوقها
العشب . . فبدأ العمل .

وكان على ان اساعده . . فظلمنا نعمل ساحة كاملة
على غير هدى تحت اشعة الشمس المحرقة . . ولكننا
ما كدنا يرفع الاحجار والاثربة ونبدأ الحفر في الارض
ذاتها ، حتى كشف داسبري عن عدد من العظام

هي بقايا هيكل عظمي لا تزال شرائح من الشباب البالية
معلقة به !

وفجأة . . شعرت بالدم يجمد في عروقي ، فقد
رايت بجوار العظام صفحة صغيرة من الحديد
مستطيلة الشكل تحمل علامات حمراء اللون ،
فانحنيت لالتقطها . . وقد صح حدسي ، فان تلك
الصفحة الحديدية كانت في حجب ورق اللعب . . اما
العلامات الحمراء ، وكانت قلوبا بيضاء ، فقد كانت
مواضعها تماثل مواضع القلوب في ورقة اللعب . .
وكانت اطرافها السفلى جميعا منقوبة تقريبا صغيرة
مستديرة !!

فقلت لصديقي : اصغ الى يا داسبري . . لقد
رايت من هذا الامر ما يكفيني ، وربما كنت تجد فيه
تسوية لك . . فاذا كان الامر كذلك تسوقا ادعك
تعم بهذه التسوية وحده .

تري هل كان الضعف الذي اصابني فجأة نتيجة
انفعلني من هذه المفاجأة لا ام تراه كان بسبب العمل
المرهق المواصلة في حرارة الشمس القاسية . .
وسواء ان هذا ام ذلك ، فقد اتيت المجراف جانبا
وعدت الى منزلي مترنحا لا اقوى على المسير . .
وما ان بلغت حتى اريت الى الفراش متعبا منهوكا .
ولبثت راقدا يومين كاملين ، وفي بدلي حتى لا يبدأ
اوارها ، بينما كانت تراقص حولي هياكل عظمية
بشعة المنظر ، وهي تلهو فيما بينها بتقاذف قلوب
حمراء دامية .

وكان داسبري شديد الاخلاص لي . . كان يولي

من وقتسه ثلاث ساعات أو أربعاً كل يوم ينفقها في العناية بي ، وإن كان في الواقع يقضى بعضها في البحث والتنقيب داخل الحجرة الكبيرة .. وكان يقول لي بين حين وآخر :

— إن الخطابات هنا في هذه الحجرة .. وإنني بحياتي على ذلك .

فأجيبه وإلا أحس بشعري يقف فوق رأسي :

— لا عني من هذا الأمر بحق السماء .

ونفضت من فراشي في صباحة اليوم الثالث وقد شفيت من وعكتي ، وإن كنت لا تزال أشعر بضعف في جسمي .. ولكن الغذاء الشهى الذي تناولته أفادني وشدت من قواي .

وفي الساعة الخامسة تلقت بالبريد المستعجل خطاباً كان له الأثر الحاسم في أمام شفائي وأثارة فضولي ، على الرغم مما حدث كله .

وكان الخطاب يحوي هذه الكلمات :

« سيدي .. »

« إن المرحية التي مثل الفميسل الأول منها في ليلة الثاني والعشرين من شهر يونيو ، قد اقتربت خاتمتها .. ولما كانت الظروف تتطلب أن أجمع بين الشخصيتين الرئيسيتين فيها وجهاً لوجه ، وإن تدم هذه المواجهة في منزلك ، فإني أرجو رجاء حاراً أن تتفضل فتسرع لي باستخدام منزلك هذه الليلة ، ومن الأوفق أن ترسل خادمك بعيداً عن المنزل من الساعة التاسعة إلى الحادية عشرة ، كما قد يكون من الأوفق أيضاً أن تتكرم بترى الميدان خالياً للخصوصوم بالمثل .. وبوسعك أن ترى بنفسك أنني في يوم

٢٢ يونيو لقد احترمت جميع مقننيساتك ولم امدد إليها يداً ، فإني أن تظمن على كل ما المنزل .

« وإنني من جاني أعدها اهانة لك ، إذا ما خالجنى الشك لحظة واحدة في كتمانك هذا السر كتماناً مطلقاً .

بصحة كسبت المخلص : سلفانور »

وقد انتهجت كل الانتهاج بنك اللهجة المهذبة التي أنعمتني عليها هذا الخطاب ، وإن كالت لا تخو من سخرية رقيقة ، وكذلك بأسلوب الرجاء الذي يحويه .. وكأما كان السكائب وثقاً من رضائي ، طيباً وإنني إن أرد له طلباً .. ولعمري لقد أصاب .. فما كنت بالذي يخيب رجاءه ، أو يقابل تقصيره بالمجرد .

والصرف ظاهري في الساعة الثامنة ، ليذهب إلى المسرح بالذاكرة التي قدمتها له .. وبعد قليل إذا بديقي داسبري يحضر ، فأطعنه على الخطاب .. وما أن قرأه حتى تغار إلى متسائلاً ، فقلت :

— حسناً .. سوف أترك الباب الخارجى مفتوحاً حتى يستطيع الدخول .

— وهل تنوي مغادرة المنزل ؟

— ليس في نيتي شيء كهذا .

— ولكنه يرجو أن ..

— والله يرجو أن أكون كوما .. وسوف أكون .. ولكن الغضول ينهشني لرؤية ما سوف يحدث .

فقبحه داسبري وقال :

— تالله أنك لعلى حق .. وسوف أبقى بالمثل ، وإن قلبي يحدثني بأننا لن نشعر بالمثل .

ونقطع طيبه عبارته رنين الجرس الخارجى .. فقمم قائلاً :

- اتراهم حضروا الآن .. قبل موعدهم بعشرين دقيقة ؟ .. هذا محال .

فمضيت الى الردهة وجذبت الجبل الذي يفتح باب الحديقة ، واذا بي ارى سبع سيدة تأتي في المر مسرعة .. واذا هي مدام اندرمانت . وكانت تبدو شديدة الاضطراب .. وراحت تلهث وهي تقول :

- زوجي ! .. انه في طريقه الى هنا .. فهو على موعد هنا ، وسوف يعطونه الخطابات .
- وكيف عرفت ذلك ؟

- بطريق الصدفة .. فقد تلقى زوجي رسالة أثناء العشاء .

- اهي رسالة بالبريد المستعجل ؟

- كلا .. رسالة تليفونية ، وقد ناولنيها الخادم خطأ .. واخذها زوجي في الحال ، ولكن بعد ان استطعت قراءتها .. فقد قال المتحدث : « احضر الى شارع مارلو في الساعة التاسعة هذا المساء ، ومعك المستندات الخاصة بالمسألة التي تعرفها .. وستحصل لقاء ذلك على الخطابات » .. فما كنا نفرغ من العشاء حتى صعدت الى حجرتي ، ثم اتيت الى هنا للتو .

- دون ان يعلم مسيو اندرمانت ؟

- نعم .

فنظر داسبري الى قائلا :

- ما رايتك في هذا ؟

- رايتك هو رايتك .. فمنسيرو اندرمانت هو أحد الخصوم الذين ذهبوا الى اللقاء .

- ولكن من هو الذي دعاهم .. ولاي غرض ؟

- هذا ما سوف نراه بعد قليل .

وصحبتها الى الحجرة الكبرى .. فوجدت مكانا يكفي لاختباء ثلاثتنا خلف الستار القرمزي المسدل فوق المدفأة الكبيرة ، واتخذنا مواقعنا هناك .. وقد جلست مدام اندرمانت بين داسبري وبينى ، وكنا حيث جلسنا نستطيع رؤية الحجرة كلها خلال الفتحات التي بالستار .

ودقت الساعة تسع مرات .. وبعد لحظة سمعنا صرير الباب الحديدى الخارجى .

واحترف انى كنتا وقتئذ اشعر باضطراب شديد ، وحبل الى ان الحمى ستعاودنى من جديد .. فقد كنا مقبلين على اكتشاف مفاتيح السر .. وهذه المفاتيح الفاضحة التي تبليت مراحلتها امامى خلال الأسابيع الماضية ، توشك الآن على بلوغ ذروتها .. وسوف تقع المعركة الفاصلة فيها امام عينى .

وامسك داسبري بيد مدام اندرمانت ، وهمس قائلا :
- حذار ان تأتي اذائى حركه .. ومهما رأيت او سمعت ، فعليك ان تحتفظى بالهدوء والسكينة .

وعندئذ دخل الحجرة رجل ما ان وقعت عليه النظاري حتى ادركت أنه الفريد فلان للشبه بينه وبين أخيه ، وكان له نفس القوام والوجه المزيح بالسورة واللحية المدببة .. وكانت تبدو عليه لمحة من القلق واللبسة ، أشبه بالرجل الذى يخشى ان يقع في كمين فيقتل بثلثت حواليه في حذر وارتياب .
والقى نظرة سريعة حول الحجرة ، فشعرت ان منظر تلك المدفأة التي اسدل الستار عليها لم يرقه ..

- اننى ارى في هذا اكثر منا تراه العين .. ولست
احب ذلك .. ولما سانسرف .

- كلا .. كما

- اسمع يا مسيو اندرمانت .. انى انصح لك

بان ..

- لن تخرج من هنا .

- سوف ترى .

قال فاران هالين الكلمتين في غضب شديد

فلعل له نفس مدام اندرمانت ، واسرعت تغطى فمها

لكنكم صيحة الذعر التى كادت تفلت منها ..

ولا ريب ان فاران سمع هذا الصوت الخافت ، اذ نظر

سويتا في حجة واسرع نحو الباب يهيم بالفرار .

غير ان مسيو اندرمانت اعترض سبيله ودفعه الى

داخل الحجرة دفعة شديدة .. وشندلذ رايت الرجل

يدس يده في جيبه الخارجى ، وهو يقول :

- اننى اتذكر لآخر مرة .

- الخطابات اولا .

فاخرج فاران مسدسه وصوبه نحوه قائلا :

- نعم ام لا ؟

وفي الحال اسرع المسالى ينحنى الى الاركن .

وانبعث حلق نارى .. وعلى اشرف سقط المسدس

من يد الرجل .. واصم الدوى مسمعى ، فقد اطلقت

الرصاصة من جانبي .. وكان داسبرى هو الذى

سقط المسدس من يد الفريد فاران .

وفي اللحظة التالية رايتسه يقف بين الخصمين

مواجهيا فاران وهو يقول :

- انك رجل محفوظ يا صديقى .. فقد صوبت

وخطا ثلاث خطوات صويتا ، ولكن فكرة اخرى

- لا شك انها اهم من ذلك بكثير - ما لبثت ان واكبت

.. فقد تحول فجأة نحو احد الجدران ، ووقف امام

تمثال الامبراطور ذى اللحية العريضة والسيف البراق

وراح يفحصه مليا ، ثم ارتقى فوق احد المقاعد وبدأ

بتحسس اطراف الوجه والسقفين بالامله وهو لطيف

لمس بعض المراضع أثناء ذلك .

ولكنه قفز من فوق المقعد فجأة وتحول بعيدا عن

الجدار .. فقد سمع ، كما سمعنا ، وقع الخطرات

التى كانت تقترب .. واذا بمسيو اندرمانت يسير

من الباب .

ونددت عن المسالى صيحة دهشة وهو يقول :

- انت .. انت .. هل كنت انت الذى دعيت

للحضور ؟

فاسرع فاران يقول محتجا :

- افا .. كلا البتة .. لقد حضرت بناء على خطابك

- خطابى ؟

- نعم .. انه خطاب يحمسك ، وقد

تعرض على ..

- اننى ما كتبت اليك قط .

- لم تكتب الى قط ؟

وسرطان ما اتخذ فاران ، بحكم الفريزة ، اهبت

للدفاع .. لا ضد المسالى ، وانما ضد ذلك العنصر

المجهول الذى جره الى هذا السكين .. والمره الثانيه

تحولت نظاره نحيتنا ، وما لبث ان خطا خطوة سره

نحو الباب .

فاعترض مسيو اندرمانت طريقه قائلا :

- ماذا تريد ان تفعل يا فاران ؟

الرصاصة نحو يدك ، ولكنها أصابت المسدس .
وكان الرجلان يحدقان النظر فيه في دهشة وهم
لا يحيران حراكا .. فاستطرد داسبري بقول لليالي :
- معلومة يا سيدي لتدخلني فيما لا يعنيني ..
ولسكنك في الواقع لا تحسن اللعب بالأوراق التي
في يدك ، فدعني أتولى عنك ذلك .
ثم تحول نحو الآخر قائلا :

- والآن يا بني .. يمكنك ان تستأنف اللعب معي
.. إن أوراقى من نوع السكوبا .. وهك الساعة
الرابحة .

ثم رفع الصفحة الحديدية ذات القلوب السبعة
الحمراء ، فوضعتها تحت أنف ألفريد فلان فجأة .
ولم أر في حياى رجلا ينعلكه الفرع الهائل على
هذا النحو .. فقد سحب وجهه فلان شحوبا شديدان ،
وجحظت عيناه حتى خفت أن تخرجا من محجريها ،
وتقلص وجهه كأنه يعاني عذابا لا يطاق .. ثم تراجع
الى الخلف مترجعا وهو يفهم بصوت متحشرج :
- من أنت ؟

- لقد قلت منذ لحظة يا بني انى رجل احب
التدخل فيما لا يخصنى .. ولسكنى تدخل فى ذلك
الى أبعد الحدود .
- وما الذى تريده ؟

- أريد كل ما أحضرته معك .
- ولسكنى لم احضر معى شيئا .

- بل لقد أحضرت كل شيء ، والا لما حضرنا
قط .. لقد تلقيت هذا الصباح رسالة تدعوك الى
الحضرة الى هنا فى الساعة التاسعة مساء . ومعك
جميع الأوراق التى لديك .. فأين هى ؟

وكان فى صوت جان داسبري ومسلكه ما أثار
دهشة ودهشولى .. كان الضرامة والسطوة اللتين
أظهروهما لنا تختلفان كل الاختلاف عما عرفته فيه
من البساطة والوداعة .

وفى ذعر طاع . أشار فلان الى جيبه قائلا :
- إن الأوراق موجودة هنا .
- كلها ؟

- نعم .
- كل الأوراق التى وجدتها بحافظة لويى لا كومب
وبعدها للماجور فون ليبين ؟

- نعم .
- هل هى الأوراق الأصلية ام صور منها ؟
- الأصلية .

- وكم تريد ثمنها لها ؟
- مائة ألف فرنك .
فالتجر داسبري قائلا :

- هل جئت ؟ .. لقد دفع لك الماجور الألماني
عشرين ألفا .. عشرين ألفا من الفرنكات ذهبت هباء
بعد أن نشئت تجلوب الاختراع .

- أنهم لم يعرفوا كيف يستخدمون الرسوم .
- بل لقد كانت الرسوم ناقصة .
- ولماذا تطلبها منى إذن ؟

- لأننى أريدها .. وسأعرف أعطيك خمسة آلاف
فرنك لا تزيد شيئا .

- بل عشرة آلاف لا تنقص شيئا .
- حسنا .. اتفقنا .

والفت داسبري نحو مسيو اندرمان قائلا :
- هل لك أن توقع شيئا بالمبلغ يا سيدي ؟

- ولكن .. ليس معي ...
 - دفتر الشيكات الخاص بك .. هالك هو .
 فتناول مسبو اندر مات دفتر الشيكات بيد مرتعد
 وهو يحدج النظر الى داسبري كأنه يرى شيئا
 الاشباح ، بينما كان يتمتم :
 - انه دفترى حقا .. ولكن كيف ؟
 - يا سيدى العزيز .. لا تضيق الوقت هبسا
 فى هذه الاعتبارات الثانوية .. وما عليك الا ان توفى
 الشيك .
 فأخرج المالى قلعه وملا الشيك ووقعه .
 وعندئذ مد فاران يده ليتناوله ، ولكن داسبري
 اعترضه قائلا وهو يدرس الشيك فى جيبه :
 - مهلا يا بنى .. انا لم نفرغ بعد .
 ثم قال المالى :
 - لقد سمعتك تذكر شيئا عن خطابات تطالب بها .
 - نعم .. حزمة من الخطابات الخاصة .
 - اين هي يا فاران ؟
 - انها ليست عندي .
 - قلت لك اين هي ؟
 - لست ادري .. فان اخي هو الذى كان يحتفظ
 بها .
 - انها مخبأة هنا .. فى هذه الحجرة .
 - ومن اين لى ان اعرف ؟
 - الست أنت الذى اكتشفت المخبا السرى ؟ ..
 انك تبدو عليهما بيراظن الامور ، مثلك مثل سلفاتور .
 - ولكن الخطابات ليست فى المخبا السرى .
 - انها هناك .
 - افتحه اذن .

فلاحت فى وجهه فاران لمحة من الشك .. ترى
 هل داسبري وسلفاتور شخص واحد كما توحي جميع
 الظواهر ؟ .. اذا كان الأمر كذلك فإنه لا يجازف
 بالكتف من المخبا السرى ما دام هذا الرجل يعرفه
 .. ولكن اذا ...
 وعاد داسبري يردد فى صراحة :
 - افتحه اذن .
 - ليس معي « سبعة الكوبا » .
 - بلى .. هالك واحدة .
 وقدم اليه الصفحة الحديدية .. ولكن فاران
 تراجع الى الخلف مذجورا وهو يصيح :
 - كلا .. كلا .. انى لن امسها .
 - حسنا .. كما تشاء .
 ومضى داسبري نحو تمثال الامبراطور ، وصعد
 فوق المقعد ثم وضع الصفحة الحديدية فوق نصل
 السيف ملاصقا للمقبض تماما بحيث طابقت اطرافها
 حواف النصل ، وراح يضغط بمسمار صغير خلال
 الثقوب السبعة فوق الرؤوس الدقيقة المثثة فى الرخام
 .. وما ان ضغط الثوب السابع حتى سمعنا صوت
 قفل معدنى يفتح ، واذا بصدر الامبراطور يدور حول
 نفسه كاشفا عن فضاء مجوف خلفه مبطن بالصلب
 كالخزائن الحديدية ويحوى رفين من المعدن اللامع ..
 ثم قال داسبري :
 - ارايت يا فاران .. ان الخزائنة خالية .
 - تماما .. ولا ريب ان اخي قد اخذ الخطابات
 سنويا .
 فسار داسبري نحوه وهو يقول :

- لا تحاول التفرير بي .. هناك مخبأ سرى آخر ..
.. فإين هو ؟

- لا يوجد شيء كذلك .

- لعطك تطمع في المزيد من النقود .. فكم تريد ؟
- عشرة آلاف فرنك .

- هل تساوى هذه الخطابات عشرة آلاف فرنك
في نظرك يا مسيو اندرمان ؟

فقال المالى في صوت ثابت : نعم .

وعندئذ اغلق فاران الخزانة ، وأخذ السبعة
الكوبا الحديدية في تصور واضح ، ثم وضعها على
النصل في الموضع نفسه ، وراح يضغط بالمسمار
خلال الثقوب السبعة على التوالى وسمعنا الصليل
المعدنى من جديد ، ولكننا لم نتوقع ما رأيناه هذه
المرّة .. فقد تحرك جزء صغير فقط من الخزانة
كاشفا عن خزانة صغيرة تقع في فراغ الباب السميك
للخزانة الكبرى .

وكانت الخطابات موضوعة بداخلها وقد ربطت
بشريط وختمت بالشمع الأحمر ، فقدمها فاران الى
داسبرى الذى قال :

- وهل احضرت المستند الذى تركه عندك لويس
لا كومب والذى يتم تصميم القواصة ؟
- نعم .

- هل أعددت الشيك يا مسيو اندرمان ؟
- نعم .

وسرعان ما تم تبادل الأوراق فدس داسبرى
الشيك الثانى والمستند في جيبه ، ثم قدم حزمة
الخطابات الى مسيو اندرمان قائلا :
- هالك ما كنت تريد يا سيدى .

فتردد المالى لحظة كأنما ينفر من لمس هذه
الصفحات المسومة التى كان يتلف على الحصول
عليها .. واخيرا تناولها في لغور واشتمزاز .

وعندئذ سمعت بجانبى تنهدا عميقا خافتا .. فلما
امسكت بيد مدام اندرمان ، اذا بها باردة كالجليد .
وقال داسبرى للمالى : احسب ياسيدى ان حديثنا
قد انتهى .. كلا .. ارجوك الا تشكرنى . فالصدفة
وحدها هى التى أتاحت لى ان أسدى اليك هذه
الخدمة .

فانصرف اندرمان يحمل معه خطابات زوجته
الفرامية الى لويس لاكومب .

وصلاح داسبرى في جدل بعد خروجه : عظيم ..
لقد سار كل شيء على ما يرام .. ولم يبق الا ان نتفق
على ما يهمنا يا بنى .. أين الأوراق ؟
- انها كلها هنا .. خذها .

وأخذها داسبرى وراح يفحصها في اطمئنان ، وما
لبث أن وضعها في جيبه وهو يقول :

- حسنا .. لقد وفيت بوعدهك يا صديقى ،
- ولكن - لكن ماذا ؟

- النقود .. الشيكان ؟

- يا لك من مخلوق عجيب .. هل تجرؤ على
المطالبة بشيء ؟

- اننى اطالب بيا يخصنى .

- هبل تعنى انك تستحق شيئا مقابلا الأوراق
التي سرقتها ؟

فخرج الرجل عن طوره وراح يهتز من قرط
الغضب وقد احتقنت عيناه بالدماء وهو يصيح :
- أعطنى نقودى .. العشرين ألف فرنك .

- انها خارجة عن موضوعنا .. فقد اخذتها لنفسه .
- نفردى .. نفردى .

- احدا يا بنى وكن اكثر تعقلا .. ثم دع هذا
الحجر من يدك .

والسرع يلبض على ذراعه في عنف يبلغ جعل الرجل
يزار من الألم ، ثم استظرد قائلا :

الصرف يا بنى وسوف يفيدك الهواء الطلق في
الخارج كثيرا .. ام تراك أحب ان اصحبك حتى
الباب مودعا .. سوف اسير معك في الارض الفضاء
المجاورة لهذا المنزل حتى نبلغ ركننا معينا به كومة من
الاحجار والتراب ، حتى اذا ما رفعنا وجدنا تحتها .
ولعلك تذكر ان لويس لاكومب كان يحملها معه دواما
.. وقد تركتها هناك .. كما تركتها ايتها واخوك ، مع جثته عندما
دفنتها هناك .. كما تركتها ايتها اخرى قد يهتم
بها رجال البوليس كثيرا .

فضلى فاران عينيه بيديه المرتعشتين ، وعمقه يقول :
- حسنا .. لقد غلبت على امرى .. فلنكف عن
هذا الحديث .. ولكن اى كلمة واحدة ، كلمة واحدة
فقط .. فاني اود ان اعرف ..
- ما الذى تود ان تعرفه ؟

- لقد كان في هذه الخزانة صندوق من الصلب
.. فى الخزانة الكبرى .. فعمل وجدته عندما حضرت
الى هنا فى ليلة الثمانى والعشرين من شهر يونيو
- نعم ..
- وماذا كان به ؟

- كل ما وضعه الاخوان فاران فيه .. مجموعة
طيبة من الجواهر والماسات واللؤلؤ التى جمعها
الاخوان طوال حياة التصوفية التى كانوا يعيشونها .

- وهل اخذتها لنفسك ؟
- يا الهى ! .. ما الذى كنت تفعله لو انك كنت
مكالى ؟

- اذن فقد كان اكتشاف ضياع الصندوق هو
الذى دفع اخى الى الانتحار ؟

- ربما .. فان اختفاء مراسلاتك مع الماجور فون
ليبين ما كان ليبلغه الى قتل نفسه .. ولكن صندوق
المجوهرات شئ آخر .. هل هذا كل ما تريد معرفته ؟
- بل هناك شئ آخر .. من انت ؟

- انك تقول ذلك كما لو كنت تفكر فى الانتقام ؟
- تماما .. فالدهر قلب .. واذا كان الحظ

حليفك اليوم فهو غدا ..

- قد يكون حليفك انت ؟

- ارجو ذلك .. والآن ما اسمك ؟

- ارسين لوبين .

- ارسين لوبين !

وارتد الرجل فجأة الى الخلف كأنما اصابته لكمة
عظيمة على ناضيته .. فقد اطاحت هاتان الكلمتان
بأمله واملانيه .

وقهقه داسبرى ضاحكا وهو يقول : آه .. هل
كنت تحسب ان شخصا عاديا هو الذى دبر هذه
الخطة المبارعة ؟ .. كلا يا صديقى .. ما كان احد
ليستطيع ذلك الا ان يكون ارسين لوبين على الاقل .
والآن وقد عرفت كل ما تود معرفته فاذهب واصد
عذتك للانتقام .. وسوف تجسد ارسين لوبين فى
انتظورك .

ثم دفع المنكود الى خارج الحجرة دون ان يضيف
الى ذلك حرفا واحدا .

جذبت الستار فجأة وصحت اهتف به ، وما زلت
في غمار دهشتي الدعوى بلاسم الذي عرفته به :

- داسبري .. داسبري .

فأسرع نحوي قائلاً : ماذا هنالك .. ما الخبر .

- مدام أندرمات .. لقد أغمى عليها ..

فخف الي جوارها وادنى من انفها زجاجة صغيرة
من الأملاح المنعشة وهو يسألني : ولكن ماذا أصابها ؟
ماذا حدث ؟

- الخطابات .. الخطابات التي أعطيتها لزوجها .

فصرب بكفه على جبينه وهو يصيح : ماذا .. هل
صدقت شيئاً من ذلك .. ولكن من أين لها ان تعرف
.. يا لى من غبي !!

* * *

وكانت مدام أندرمات قد أفقت وراحت تصفي
اليه في تلهف .. فأخرج من جيبه حزمة صغيرة
تمائل في كل شيء تلك التي أخذها مسيو أندرمات
معه ، وقال :

- ها هي خطاباتك يا سيدتي .. الخطابات
الحقيقية .

- ولكن .. الأخرى ؟

- انها تماثل هذه .. ولكنني أعدت كتابتها لئلا
أمس بعد ان أبدلت عباراتها في حرص ودقمة ..
ولسوف يسر زوجك عندما يقرأها فلا يجد فيها ما
يمس كبرياءه وشرفه .. ولن يخطر بباله البتة انها
بخطي .

فراحت تشكره في حرارة ، وبعبارات تشف عن
تقديرها لجميل صنيعه ، كما لو كانت تخاطب رجلاً
من طبقتها .. فادركت انها لم تسمع ما دار من
حديث بين فاران وأرسين لوبين .

أما الا فقد جمعت النظر اليه في حيرة عظيمة ، ولم
ادر ما اقوله لذلك الصديق القديم الذي كشف لي
عن حقيقته فجأة وبصورة لم اكن أتوقعها البتة .

لوبين ! .. انه أرسين لوبين .. صديقي وزميلتي
القديم في السادي ، لم يكن سوى أرسين لوبين ..
اننى لا اكاد اصدق ذلك البتة !

ولكنه كان يضحك في جدل واطمئنان وهو يقول :
- يمكنك الآن ان تقول وداعاً يا جان داسبري .
- حقاً ؟

- نعم .. فسوف يرحل جان داسبري الي الخارج
.. سوف أبعث به الي مراکش حيث يحتمل ان يلقي
النهاية الخليقة به !!

- ولكن أرسين لوبين سيبقى ؟

- أحسب ذلك .. ان أرسين لوبين لا يزال في
بداية عمله ومستقبله ، وهو قوى العزم على أن ...
ولممكنني نزعة لا تقاوم من الفضول ، كانت تجذبني
نحوه .. فأخذته بعيداً عن مدام أندرمات وسألته :

- اذن فقد انتهيت الي معرفة المحب السري الثاني
الذي كانت به الخطابات ؟

- نعم .. وقد استغرق ذلك منى وقتنا طويلاً ..
فلم أصل اليه الا بعد ظهر الأمس بينما كنت لا تزال
في فراشك .. ومع ذلك كان الأمر أبسط مما يتصوره
العقل .

لم اراني « سبعة الكوبا » وهو يستطرد قائلا :
- لقد ادركت انه لكي تفتح الخزانة الكبرى يشتر
ان يضغط داخل الثقوب السبعة بعد وضع الورقة
على لصل سيف الامبراطور .
- وكيف ادركت ذلك ؟

- هذا امر يسير .. كانت لدى معلومات خاصة
.. وكنت اعرف ذلك عندما حضرت الى هنا ليلة
الثاني والعشرين من شهر يونيو .
- بعد ان تركتني ؟

- نعم .. وبعد ان تخبرت حديثي معك بحيث
جعلك في حالة من الاضطراب النفساني ، الذي اذا
الم برجل عصبي المزاج شديد الحساسية مثلك ،
جماله يدعني اعلم كما اتساء دون ان يفادر فرائشه .
- لقد كان استنتاجك صوابا .

- حسنا .. كنت اعرف عند قدومي ان هناك
صندوقا من الصلب اخفي في خزانة ذات قفل سري
مفتاحه هو « سبعة الكوبا » .. ولم يكن يلزمي الا
ان اضغ ورقة اللعب في المكان الذي خصص لها ..
فلم تضر ساعة حتى اكتشفت ذلك المكان .
- ساعة واحدة ؟

- انظر الى تمثال الامبراطور .. انه صورة طبق
الاصل من شانملمان الذي تطبع صورته على (ملك
الكوبا) في ورق اللعب الفرنسي .

- يا الهي ! .. انك على حق .. ولكن لماذا تفتح
« سبعة الكوبا » الخزانة الكبرى حينما والصغرى حينما
آخر ؟ .. ولماذا فتحت الكبرى فقط اول مرة ؟
- لماذا ؟ .. لانني كنت استخدم الورقة بطريقة

واحدة لا تغير .. ولكنني بالامس فقط تبينت انها
ان قلبت بحيث تفسد الاطراف المدببة للمقلوب الى
الاعلى بدلا من الاسفل فان مواضع الثقوب تتغير .
- هذا طبيعي .

- من السهل ان تقول الآن « هذا طبيعي » ..
ولكن قضيت طويلا في التفكير فيه .

- هناك شيء آخر .. فإناك لم تكن تعرف بامر
الخطابات الا بعد ..

- الا بعد ان حدثتني عنها مدام اندرمان ؟ ..
هذا حق .. فاني لم اجد في الخزانة الكبرى سوى
صندوق المجهرات والمراسلات الخاصة بالاخوين
داران ، وهي التي ارشدتني الى خيانتها .

- بل صحيح كل الصحة .. فقد احضرت تلك
الصفحة المعدنية ذات الثقوب السبعة من هناك ..
- معنى ذلك انك لم تعرف بامر هذه الخيانة ، ولم
تدرك قصة الاخوين ، فرحت تنشر الرسوم
والستندات الخاصة بالفواصة ، الا عن طريق
الصدفة ؟

- الصدفة المجردة .
- ولكن ماذا كان هدفك من كل هذا البحث
والتنقيب ؟

فقاطعتني « داسبري » ضاحكا وهو يقول :
- ليغفر الله لك يا بني .. هل يهيك هذا الامر
كسرا ؟

- انه يهمني الى حد الجنون .
- حسنا .. دعني اولا ارافق مدام اندرمان الى
منزلها ، ثم ابعث رسولا الي صحيفة (صوت فرنسا)

برسالة قصيرة .. وسوف اعود اليك بعد ذلك لاحدثك بكل التفاصيل .

وجلس الى المصدة فسطر احدى تلك الرسائل العالمية التي كانت ثم عن خياله الخصيب .. ولعل الناس جميعا يذكرون الضجة التي قوبلت بها تلك الرسالة في جميع أرجاء العالم ، عند نشرها :

« لقد استطاع ارسين لويين أن يحل اللغز الذي طرحه « سلفاتور » على بساط البحث .. وقد أمكنه أن يحصل على الرسوم والمستندات الأصلية لفواصة التي اخترعها المهندس الشاب لويس لاكومب ، وبعث بها الى وزير البحرية .. وفضلا عن ذلك فإن ارسين لويين قد فتح اكتتابا لاهداء الحكومة اول غواصة تبنى وفقا لهذه الرسوم ، واقتتج هو نفسه قائمة الاكتتاب متبرعا بعشرين الفا من الفرنكات » .

فلما اطلعنى على تلك الرسالة بعد ان كتبها ، صحت قائلا :

- العشرون الفا التي كتب اندرمان شيكين بها ؟
- تماما .. فقد كان ينبغي ان يكفر فاران اخيرا عن جانب من خيالاته .

وهكذا كانت اول معرفتى بأرسين لويين .. وهكذا ايضا كانت اول معرفتى أن جان داسبري ، صديقى الحميم ورفيقي فى النادي وفى المجتمع ، لم يكن غير ارسين لويين .. اللص الظريف !!

وهكذا اخيرا نشأت صلة وثيقة الوشائج من الود والصداقة بين ذلك الرجل العظيم ويبنى ، جعلته يشرفنى بشقته ، حتى غلبت مترجم حياته الامين .

القسم الثانى القبض على ارسين لويين

كانت رحلة من امجب الرحلات وأشدّها غرابة .. ومع ذلك فقد بدأت كخير ما تبدأ به رحلة فى المحيط .. واننى من جالبي لم استمتع قط برحلة بدأت مثل هذه البداية الطيبة .. فقد كانت الباخرة بروفانس ، احدى عبارات المحيط العظيمات ، باخرة تجمع بين السرعة والراحة التامة والفخامة ، يتولى امرها ربان وملاحون من أعظم الرجال دربة ومهارة .

وكان المسافرون بالدرجة الاولى من النخبة المشارة ، وسرعان ما نشأ التعارف بيننا ، وبدانا ننظم وسائل التسلية والسمر التي نعيش بها وقت السفر .. فإن ذلك الشعور العذب بأننا قد انقطعنا عن العالم ، وكاننا فوق جزيرة منعزلة ، قد خلق بيننا جو من التقارب والصداقة .. وتلك الظاهرة الغريبة فى الاسفار البعيدة المدى .. فهؤلاء الناس الذين لم ير احدهم الآخر قط قبل الامس ، تجمعهم الآن رابطة واحدة من العيش معا خلال الايام القليلة القادمة ، بين سماء لا نهاية لها ، وأمواج صلاحية متلاطمة ، ورياح تنزع الى الخير حيننا وإلى الشر والقسوة حيننا آخر .

ولكن المدنية الحديثة لم تدعنا فى عزلة تامة كما كان اسلافنا فى اسفارهم .

كان التلفراف اللاسلكى يصلنا بالارض التي حسبنا اننا قد انقطعنا عنها .. وهكذا كنا نشعر منذ البداية ان ذلك الصوت البعيد يتبعنا ، ويسير فى ركابنا ، بل ويسبقنا الى الارض التي لن نراها الا بعد ايام طويلة .

.. ذلك الصوت الذي يحمل اليظا على متن الاثير ،
بين آونة وأخرى ، كأمات قليلة من احبابنا الذين
خلفناهم في القنارة ، او اولئك الذين ينتظروننا في
قد استقبلت بعد ان تم كل شيء امامه وتحت نظره .
وكانت مدام اندرمان مشدوحة لا تقوى على النطق
.. ولكنها غمفت : والخط ؟ . بزوف لا يجدها
اميسكا .

ولسكنه قد يحمل البنا في الوقت نفسه الأرزاء
والنائب .

وهكذا حدث - بعد ظهر اليوم التالي ارحلتنا -
وكان الجو عاصفا والرياح ترمجر حولنا وتلاعب
ولباخرة العظيمة بين الامواج الصاخبة ، وكنا قد
ابتعدنا زهاء خمسمائة ميل عن الشاطئ الفرنسي -
ان حمل البنا التفراف اللاسلكي هذه الرسالة :

« أرسين لوبين على ظهر باخرتكم .. بالدرجة
الأولى .. أشقر الشعر مصاب بجرح في ساعده
الايمن .. ويسافر وحده «تنكرا باسم ر ...» .

ولم يكمل الاسم .. اذ في هذه اللحظة بالذات ،
انقضت صاعقة هائلة من المحيط ، ودوى قصف
انفجارها فقطع الامواج الكهربائية التي تحمل الرسالة
وبالمك لم يصلنا الجزء الأخير منها .. ولم نعرف
سوى الحرف الأول من الاسم الذي يخفى وراءه
أرسين لوبين شخصيته الحقيقية .

واو ان هذه الرسالة البرقية كانت تحمل انباء
أخرى لغل امرها سرا بين الربان وضباطه وعمال
اللاسلكي في الباخرة .. ولكن هناك اشياء معينة لا

يمكن ان تظل على الكتمان .. وكذلك لم يتقضى اليوم
حتى عرفنا جميعا ، دون ان يدري احد كيف انتشرت
هذه الشائعة ، ان أرسين لوبين الشهير يختفي
وسطنا .

أرسين لوبين بيننا
ذلك اللص الغامض الذي ظلت انباء سطاوه على
المنازل والقصور تذاغ في صحف العالم شهورا
متالية .

تلك الشخصية المحيرة التي اشتبك معها جانيمار ،
اعظم رجال شرطتنا قاطبة ، في ذلك الصراع الذي
كانت حلقاته المتطايرة تذاغ بين الناس على صورة
عجيبة مملية .

أرسين لوبين .. اللص الظريف الذي سطا ذات
ليلة على قصر البارون شورمان ثم انصرف صفر
اليدين بعد ان ترك بطاقته وعليها هذه الكلمات :

أرسين لوبين

سوف يعود عندما تكون تحفك غير زائفة

أرسين لوبين .. الرجل ذو الالف شكل وهيئة ..
والذي يبدو كسائق سيارة ، او مخن في الأوبرا ، او
بائع كتب قديمة ، ويظهر كفتى حدث ، او شباب
غريب ، او كهيل اشيب ، وهو احبانا حمال من
مرسيليا ، او طبيب روسي ، او مصارع ثيران اسباني .
تصور موقنا ! .

أرسين لوبين يجول في تلك الباخرة المحدودة المعالم
.. كلا .. بل في ذلك الحيز الضيق الخاص بالدرجة
الأولى ، حيث قد يلقاه المرء في أية لحظة .. في

الصالون أو قلعة التدخين ، أو حجرة الانتظار ..
بل إن أرسين لوبين قد يكون ذلك السيد الذي يسير
هناك .. أو الذي يجلس أمامك .. أو جارك على
المائدة .. أو نزيل المقصورة المجاورة لمقصورتك .

وفي اليوم التالي صاحنا مس ليلى الدرداون تقول :
- هذا مربع .. تصور أن هذه الحالة ستندوم
خمس أيام أخرى .. شد ما أود أن يقبضوا عليه .
لم تحاول نحوى وأردفت :

- أنك صديق الريان يا مسيو داندريزي .. افلم
تسمع شيئاً جديداً ؟

ولقد ما وددت لو أنني سمعت بجديد .. ولو
لمجرد ارضاء مس الدرداون .. فقد كانت من تلك
النساء اللواتي يصبحن محط الأنظار أينما حلن ..
وكان جمالها لا يقل ثروة عن أموالها ، ومن ثم كان
يتبعها دائماً رتل من المعجبين .

وكانت قد أتت دراستها في باريس حيث أرسلتها
أمها الفرنسية الأصل ، وبها هي ذى تمسود إلى
شيكاغو لتلتحق بابيها مستر اندرداون المليونير
الأمريكي المعروف .. تصحبها سيدة عجوز هي
اللاتي جيرلاند ، لتعنى بأمرها أثناء الرحلة .

ولم يكن قد أوليتها كبير اهتمام بأدى ذى بدء ..
ولكن ما كدتا يتعد عن اليابسة حتى استحوذ سحرها
وجمالها على لبي ، وما لبثت أن وجدت عاطفتي نحوها
تتعدى حدود الغزل العابر ، وفؤادي يخفق في عنق
كلما التقت عيناى بعينها السوداوين العميقتين ..
ولقد تلقت عاطفتي بالكثير من الاهتمام والحرارة ،

وسارت تضحك لتكأتي الفكاهية ونهت بسماع قصصى
المسائية .. ولعلنى لا أعدو الصواب إذا قلت إن قلبها
قد بدأ يستجيب لنداء العاطفة التي كانت تفيض
من عليها .

غير أن مناقسا واحسدا هو الذى كان يثر قلتي
وتوجسبى .. وهو شاب بهى الطلعة رشيق الهندام
كثير التحفظ ، كان سمته الدائم يستجاب اهتمام
الغناء في كثير من الأحيان أكثر من مرحى الصاحب
وأساليب الباريسية .

وقد تصادف أن كان هذا الشاب من ضمن الحاشية
التي تحيط بمس الدرداون في اللحظة التي خاطبتنى
فيها بهذه العبارات .. وكنا وقتئذ نجلس في مقاعدنا
المريحة المستطيلة فوق سطح الباخرة بعد أن صفا
الجو وانقشعت السحب وزال الير العاصفة التي تلتوت
في اليوم السابق .. وبالأجمال فقد كانت أمسية
جميلة حقاً .
وأجبت قائلاً :

- أنني لم أسمع شيئاً معيناً على وجه التحديد ..
ولكن لماذا لا نشرع نحن في جلاء هذا اللغز والقيام
بتحرياتنا كما كان خليقاً بجائيمار أن يفعل ..
جائيمار عدو أرسين لوبين اللدود ، لو كان معنا ؟

- آه .. أراك تذهب شوطاً بعيداً .

- لماذا .. هل المشكلة معقدة إلى هذا الحد ؟

- إلى أبعد حدود التعقد .

- ألك تقولين ذلك إذ نسبت البيانات التي لدينا
والتي تسهل لنا مهمة حلها .

- أية بيانات ؟

- ان ارسين لوبين يادى ذى بدو ، يسافر متسكرا
تحت اسم مسيو « ر... » .
- هدا بيان غامض .

- وهو نالبا ، يسافر بمفرده .

- هل تحسب هذا بيانا كلفيا لا

- وهو الى جانب ذلك اشقر الشعر .. وبذلك
فانظرا لا تحتاج الى اكثر من مراجعة قائمة اسماء
المسافرين بالدرجة الاولى ثم تبدأ في تصفيتها .
وكنت اعمل صورة من القائمة في جيبى فاخرجتها
ورحت التلعللها برهة ثم قلت :

- ارى انه لا يوجد سوى ثلاثة عشر واكبرا تبدا
اسماؤهم بحرف الراء .. منهم تسعة تصحبهم
زوجاتهم واطفالهم .. وبذلك لا يبقى الا اربعة فقط
يسافرون منفردين .. المركيز دى رافردان ...
فقطعتنى من اندرداون قائلة :

- اننى اعرفه .. فهو سكرتير سفارة .

- والمناجور راوسون .

فقال احد الحضور : انه عمى .

- والسنيور ريفولتا ...

فصاح صائح : ها انذا .. ثم رفع راسه ، فاذا به
رجل ايطالى يتوارى وجهه خلف لحية عظيمة حللكة
السيواد لا يمكن ان تكون مستعارة .

وانبعثت من اندرداون تقيقه بملء فيه وهى
تقول :

- ان هذا السيد ليس ذهبى الشعر تماما .
واستطردت قائلة :

- وعلى ذلك يتعين علينا ان نفرض ان المجرع هو
آخر شخص في القائمة .

- ومن هو ؟

- شخص يدعى مسيو روزين .. هل يعرف احد
مسيو روزين ههنا ؟

قالم يجب احد .. ولكن من اندرداون تحولت
الى الشاب الصموت الذى كانت مواظبه على الجلوس
بجوارها تضايقنى اشد المضايقة ، وغالبت :

- حسنا يا مسيو روزين .. اليس لديك ماتقوله ؟

فتطلعت عيون الحاضرين جميعا نحو الشاب ..
وعندئذ تبين لنا انه اشقر الشعر .

والحق اننى احسست بشعور من الضيق بدخلجنى
لهذه المفاجأة .. وكان الصمت الثقيل الذى خيم
علينا ينبىء بان الحاضرين جميعا يشاركونى ههنا
الشعور .. وكان الموقف خرجا على اية حال ، اذ لم
يكن فى مسلك الشاب ما يورر ريبتنا فيه .
واخيرا غمغم يقول :

- وماذا يمكن ان اقول يا سيدتى العزيزة .

حسنا .. اذا نظرنا الى ان اسمى يبدأ بحرف الراء
واننى اشقر الشعر واسافر منفردا ، فان رايى يتفق
مع آرائكم التى لا تقرون على الإفصاح عنها .. وهو
انه ينبغي القاء القبض على فى الحال .

وكان وجهه قد اكسى لمحة غريبة وهو ينطق بهذه
الكلمات .. والرداد مجيها وشفتاه شحوبا وامتناعا
على حين احتقنت عيناه بالدماء .

وما من ريب فى انه كان يسخر منا .. ومع ذلك
الموت لهيئته والفعاله شفقتنا جميعا .. وبسالته من
اندرداون :

- ولكن هل يوجد جرح بساعدك ا

أصبت .. أن الجرح وحده هو الذي ينقصني .
وفي حركة عصبية راح يرفع كفه ويكشف عن ذراعه
.. فرأيناه جميعا سليما خاليا من أي جرح .
ولكن فكرة طارئة خطرت لي فجأة ، فقد كشف
الشاب عن ساعده الأيسر لا الأيمن .. ولعل الفكرة
قد خطرت لسى أندرداون أيضا إذ تطلعت نحوى
والتفت عينها عيني .

ولقد علمت بأن ابنتى هذه الملاحظة عندما حدث
أمر اجتذب انتباهنا جميعا .. فقد جاءت اللادى
جيرلاندى ، مصاحبة مس أندرداون ، تعدو نحونا في
انفعال شديد .. وتجمع المسافرون حولها يسألونها
عن حيلة الخبز ، فبدأت جهدا شديدا قبل أن
تسبح العاطف في صوت يشبه العويل :

جراهرى .. لاللى .. لقد سرقت جميعها .

كلا .. لم تسرق جميعها ، كما ادركنا فيما بعد ..
فلما وقع أنه كانت في هذه السرفة ظاهرة عجيبة ،
أد بان اللص قد التقى ما يريد انقاده . كان قد ترك
الحلى نفسها ، ولكن بعد أن نزع منها الثمن ما فيها
من ماسات وياقوت ولالى ، وأحجار كريمة مختلفة
.. كان قد التقى كل نفس غسال مما يخف جملة
وسهل اخفاؤه .. أما الحلى فقد تركها فوق المنضدة
.. وقد رأيتها بنفسى بعد ذلك ، كما رأيناها جميعا .
شاعر فينا مرأها كل التآمر .

ومن عجب أن اللص الحزى قد استطاع في وضع
النهال ، منتهوا فرصة تناول اللادى جيرلاندى الشاي ،
أن يقتحم باب المقصورة ، وهو يقع في مفر مطررق ،
وأن يكتشف مكان حقيبته المجوهرات التى كانت مخبأة

في قاع صندوق كبير للامتعة ، ثم يفتحها بعد ذلك
ويستقى ما يشاء منها .

كانت جراحة منقطعة النظر .. وقد انبعث منا
جميعا صيحات الدهشة والاستغراب .. ولم يكن
حديث المسافرين بعد اكتشاف السرفة الا أن أوسين
لويين هو السارق .. والواقع أنها قد ارتكبت
بطريقته المعقدة الغامضة ، التى لا يكاد يصدقها العقل
.. وهى مع ذلك طريقة تنطوى على الحكمة والتبصر
كما اعترفنا جميعا .. فقد كان من العسير عليه أن
يخفى الحلى بأسرها ، على عكس الحجارة الكريمة
نفسها ، فمن السهل أن يخفيها في أى مكان .

وعند تناول العشاء ظل المقعدان المحاوران لمسير
روزين خاليين .. وفي المساء علمنا ان الريان قد
أرسل في طلبه .

ولم يشك احد في أنه سوف يقبض عليه ، فكان
ذلك مدعاة للارتياح العام .. وشهرنا أخيرا باننا
نستطيع ان نتنفس الصعداء .. ومن ثم رحنا نلعب
ونمرح ونرقص طوال السهرة ، وقد هدأ روعنا وسكن
جأشنا .. ولاحظت أن مس أندرداون - على
الأخص - كانت بادية المرح والسرور ، مما جعلنى
أدرك أنها لم تعد تفكر في تودد روزين اليها .. وفي
تلك الليلة غدت بكليتى أسر سحرها وفتنتها ..
فلما اتصف الليل ، وتوسط القمر كبد السماء ،
مرسلا في الأفق ضياءه الفضى . أعربت لها في عاطفة
جياشة عن حبي لها ، وأعجابى بها .. فلم يبد

تفورا ، ولم تصم اذنها عن سماعي .

وشد ما كانت دهشتنا في اليوم التالي عندما علمنا ان الشكوك التي حامت حول روزين لم تكن كافية للقبض عليه ، ومن ثم اطلق سراحه .. وقيل انه ابن اخت تاجر غني من بورلو ، وانه قدم أوراقا صحيحة تثبت شخصيته .. كما ان ذراعيه كانتا خاليتين من أى اثر للجروح .

وصاح خصوم روزين :

- ما قيمة الاوراق وشهادات الميلاد .. ان ارسين لوبين يستطيع ان يقدم منها العشرات ، فتبدو كلها صحيحة لا شذوية فيها .. اما عدم وجود جرح في ساعده فيدل على انه لم يكن امة جرح البتة .. او انه قد ازال كل اثر له .

وذكر بعض المسافرين انه في الوقت الذي ارتكبت فيه السرقة كان روزين يتعمى على سطح الباخرة . والواقع انه قد امكن اثبات ذلك . ولكن الآخرون قالوا انه مع شخص كارسين لوبين لا يحتاج الامر الى وجود السارق في محل الجريمة .. واخيرا وبغض النظر عن جميع الاعتبارات الأخرى ، فقد كانت هناك نقطة واحدة لا يستطيع اقوى اصحاب روزين ان يعترض عليها بكلمة .. لوين غير روزين يسافر منفردا ويُدعى باسم اوله حريف الراء .. وله شعر اشقر .. من غير روزين تطابق اوصافه على ما جاء في البرقية اللاسلكية ؟

وعندما دنا روزين من جماعتنا في شجاعة ، قبل

الغداء بدقائق معدودة ، نهضت اللادي جيرلاندي ومسي المرادون وسارتا بعيدا دون ان تلقيا عليه نظرة واحدة .

وكان السبب لا يبدو مجرد الفزع والمخبر من مرآة .

وبعد ساعة واحدة ، كانت نيرة مكتوبة بخط اليد تتداول بين موظفي الباخرة وغالها وملاحيها وركابها جميعا .. فان مسيو لوبين بعد بجائزة قدرها عشرة آلاف فرنك لمن يستطيع ان يكشف القناع عن ارسين لوبين .. او يكشف من في جزوته الجواهر المبرقة .. وقد قال روزين للريان :

- فاذا لم يساعدني احد ضد هذا التوعد .. فسوف اتولى معالجة الامر بنفسى .

وكان الصراع بين روزين وارسين لوبين - او كما قال احد الطرقات : بين ارسين لوبين وارسين لوبين نفسه - لا يخرج من الطرافة !

وقد دام هذا الصراع يومين كان روزين يشاهد خلالهما وهو يجول في أنحاء الباخرة بمئة وبسرة ، ويخالط الملاحين ويستجوب كل من يقع في يده من الركاب او الموظفين .. بل ان شبحه كان يرى النساء الليل خلال طوافه بكل مكان .

واتخذ الربان من ناحيته اجراءات سريعة حاسمة .. فقد امر بتفتيش السفينة من مقدمها الى مؤخرتها .. فلم يترك ركنا او عقدة من الجبال لم يفتشها ..

بل لقد فتش كل ركن في مقاصير الركاب وحقايبهم
وامنعهم ، دون استثناء ، بحجة ان الجواهر المسروقة
قد اخفيت بغير شك في مكان ما .. في اى مكان غير
مقصورة السارق نفسه .

وقالت لى مى الدرديون :

- لا شك في انهم سوف ينتهون الى العصور على
شئ ما .. فمهما كان هذا الرجل ساحرا الا انه لا
يستطيع ان يحيل اللالىء والماسات الى اثير شفاف
لا يرى .
فاجبتها :

- لا ريب انهم سيجدون شيئا .. والا فسوف
يضطرون الى تفتيش بطانة قبعاتنا او اى شئ نحمله
عننا .

ثم اشرت الى آلة التصوير التى اعلقها فوق منكبى ،
والتي لم اكف لحظة عن استخدامها فى التقاط الصور
العديدة التى تمثلها فى كافة الأوضاع ، واستطردت
اقول :

- وحتى مثل هذه الآلة الصغيرة ، فانه يوجد
بها مكان يتسع لجواهر السلاوى جيراند جميعها ..
وما عليك الا ان تنظري بالنقاط الصور بينما يتم
لك الامر كما تهوين .

- ومع ذلك فقد سمعت ان كل لص لا بد ان يترك
ائرا معيناوراه .

- هناك من لا يفعل ذلك قط .. ارسين لويين .

- لماذا ،

- لانه لا يفكر فى الجريمة التى يرتكبها فحسب ،
بل فى جميع الظروف او الاحتمالات التى يمكن ان تتم

عليه .

- لقد كنت اكثر تفاؤلا فى بادىء الامر ؟
- ذلك لانى لم اكن قد رأيتك يعمل حينئذ .

- اذن فانت تعتقد ...

- اعتقد اننا نضيع الوقت سدى .

والواقع ان جميع الأبحاث والتحريات التى اجريت
لم تسفر عن اية نتيجة مشرفة او على الاقل اسفرت
عن نتيجة لا تتفق مع الجهود الجبارة التى بذلها
الجميع .. فقد اخفقت ساعة الربان !

فاشتمد به الحقق .. وضاعف من حماسه .. وزاد
من الرقبة الصارمة التى فرضها على روزين .. بل
لقد استدعاها لمقابله عدة مرات .

وفى اليوم التالى كانت سخرية الاقدار او سخرية
ارسين لويين قد بلغت الذروة !
لقد وجدت ساعة الربان بين ياقات الضابط
الثانى .

وكانت الامور العجيبة الخارقة تشر جميعها الى
مهارة اللص الخارقة .. والى جانب ذلك تتم عن
ذوق فنى رائع .. كان ارسين لويين يؤدى عمله لا
فى سبيل العيش فحسب ، وانما يتخذ منه مهارة
وتسلية .

اجل .. كان لويين فنانا بارعا فى مهنته .. وكلما
وقعت نظارى على روزين فى الاكشابه وعناده معا ،
وفكرت فى الدور المزدوج الذى يؤديه هذا المخلوق
الغريب ، كنت اعجز عن الحديث عنه دون ان
يخالجنى شعور عميق من الاعجاب به .

وفى الليلة السابقة لوصولنا الى امريكا ، سمع

من هذا العمل القاسى الذى كان ضحيته روزين
المسكين .

وانتشر الدعر طافيا فى أنحاء الباخرة .. ولم يعد
أحد الركاب يجرؤ على البقاء وحده فى غرفته أو
التجوال فى الممرات والسطوح .. وساد الركاب
شعور من الريبة والتوجس حتى حبال أولئك الذين
يعرفونهم حق المعرفة .. وكان يخيل الى الجميع
أن أى شخص هو أرسين لوبين .. بل أن خيالنا
الذى أرققه الخوف ، جعلنا نعزو اليه قوى خارقة
لا حدود لها .. فحسبناه قادرا على أن يبدو فى أى
شكل يختاره .. وحسبناه خليقا بأن يظهر حينما
نتقصد شخصيا الملاجير راوسون أو المركز دى
رافردان ، أو غير هذا وذلك من الركاب سواء أكانوا
منفردين أم تصحبهم عائلاتهم .

ولم يعد التأخرات اللاسلكى يحمل لنا أية انباء
جديدة .. أو على الأقل لم يخبرنا الربان بأى شيء
من هذا القبيل .. وكان هذا الصمت المطبق مما يزيد
فى قلقنا .

وبدا لنا اليوم الأخير لارحلة وكأنه لن ينتهى قط
.. وكان كل من تحمله الباخرة يتوقع أن تحصل به
كأزمة مروعة .. ولكنها لن تكون مجرد سرقة أو
سطو هذه المرة .. ولن تكون مجرد اعتداء بسيط
كالذى وقع على روزين ، وإنما سوف تكون جريمة
رهيبية ، ربما كانت جريمة قتل .. وما كان أحد
ليصدق أن أرسين لوبين سوف يقنع بما قام به من
عمل .. سرقة جواهر اللادى جيرلانك وتقود مسيو

الضابط المتروك أينما خافتنا ينبعث من ركن مظلم على
سطح الباخرة .. فاقرب من مصدر الاين واذا به
يجد رجلا ملقى على الأرض وقد احيط رأسه بقماش
سديك وفيدت يده بحبل ربيع .
فحلوا وناقوه ورفعوه من مكانه وسقوه شرابا منعشا
.. ولم يكن سوى .. روزين .

نعم .. روزين الذى هوجم بغتة أثناء إحدى
جولاته المعتاد ، رصرخ وفيد حراكه وسلبت نقوده !
فقد وجدوا إحدى بطاقات الزيارة مثبتة بدبوس
على يديه وتحمل هذه الكلمات :
« أرسين لوبين يقبل مع الشكر العشرة آلاف فرنك
التي تههد بها مسيو روزين » .

ولكن الحقيقة هى أن حافظة مسيو روزين المسروقة
كانت تحوى عشرين الفا من الفرنكات لا عشرة آلاف
فقط .

ومن الطبيعى أن يتهم الشاب المنكود بواسطة
خصومه بأنه افعل هذا الاعتداء المزعوم على شخصه
.. ولكن بغض النظر عن الحقيقة الواقعة وهى
استحالة قيامه بتقييد يديه على هذا النحو ، فقد
ثبت أن الخط الذى حررت به البطاقة لا يشبه خط
روزين فى شيء .. فى حين أنه يماثل تماما خط أرسين
لوبين كما نشر فى إحدى الصحف وقد تصانف
وجودها فى مكتبة الباخرة .

وهكذا فان روزين لم يكن أرسين لوبين !
كان روزين هو روزين .. ابن أحد كبار تجار
بورديو .
وهكذا أيضا تحقق وجود أرسين لوبين مرة أخرى

دورين ، فهو السيد المسيطر على الباخرة بأسرها ، وهو الذي يفرض ارادته علينا ، ويظهر بنا كما يحب ويهوى ، ويمسك بأموالنا وأرواحنا بين يديه .

وانى لأعترف ان هذه الساعات الحرجة كانت تشيع في نفسى سرورا لاحد له ، فقد اكتسبت منها ثقة نيللى الدرداون ، وكانت تحت تأثير هذه الأحوال تزداد منى دنوا لتشهد بجوارى لجمالية التى كنت سعيدا بان أبسطها عليها .
وكتبت في اعماق قلبى ابارك ارسين لوبين وأدعو له ..

ليس هو الذى جمعنى والفتاة معا ؟
اليس هو الذى ادين له بهذه الاحلام السعيدة التى تراودنى في النوم وفي اليقظة ؟ احلام القرام ، واحلام اخرى ذات صبغة عملية .

ولماذا لا اعترف بان آل داندريزي من النبلاء الذين احنى عليهم الدهر واغفدهم ثروتهم .. وأنه ليس من العار ان ينشد رجل من احفادهم الشروة التى تمكنه من استعادة ذلك المجد الضاير ؟

بل ان هذه الاحلام لم تكن لتضايق نيللى نفسها .. وكانت عينها الضاحكتان ، وصوتها الرقيق ، تغذى آمالى وتشدنا من عزيزتى .

ولقد ظلنا جنبا الى جنب حتى اللحظة الاخيرة . كنا نستند الى السياج فوق سطح الباخرة بينما كان الساحل الأمريكى يزداد اقترابا ووضوحا .

وفي ذلك الوقت كان يسرى في الباخرة كلها شعور غريب من الهمفة والانتظار .. كان الجميع من الدرجة الاولى الى اعماق الباخرة ينتظرون تلك اللحظة الفاصلة عندما حل هذا اللفز المستطرق ..

من هو ارسين لوبين ؟
وبالى اسم وعلى اية صورة كان ارسين لوبين يجوب اتحاء الباخرة ؟ .

ودنت اللحظة الحاسمة .. فلو عشت مائة عام لما غابت عن ذاكرتى ادق تفاصيلها .
قلت للفتاة وهى تزداد التصاقا بى وتسندها راسها الى آخفى ، وقد اوشكت ان تغيب عن الصواب :

- ما أشد شحوبك يا نيللى .
- وانت ايضا .. شد ما تغيرت اخيرا .
- ما اعظم ما تؤثر في نفسى هذه اللحظة الاليمه ..
وما أشد سعادتى اذا قضيتها بجوارك .. وانى لاجب يا عزيزتى لنيللى هل تعود بك الذاكرة برما من الايام الى هذه اللحظة ؟ .

ولكنها لم تكن تستمع لى ..
كانت تلهث في الفعالي وهى تتطلع الى سلم الباخرة وقد ادلى فوق الرصيف .

ولم يسمح لنا بالنزول للتو .. فقد صعد الى الباخرة رجال الجمارك ، والحجر الصحى ، وجوازات السفر ، والبريد .. ثم تلة من رجال البوليس .
وعمضمت لنيللى قائلة :

- انى لن اذهبى اذا علمت ان ارسين لوبين قد اختفى اثناء الرحلة .

- ربما كان قد فضل الموت على العار ، والقى نفسه في المحيط الاطلانطى دون الاستسلام للقبض عليه .

فقلت في ضيق : بالله عليك لا تسخر منه هكذا .
وعندئذ رايت ما جمعنى أجفل وارند الى الوراء .
واذ تطلمت نحوى منسائلة قلت :

١ - هل ترين هذا الكهل القصير الذي يقف عند نهاية السلم ؟

- ذلك الذي يرتدى معطفا اخضر ويمسك بمظلة سوداء ؟

- نعم .. انه جانيمار .

- جانيمار ؟

- اجل .. البوليس السرى الشهير الذى اقسام ان يقبض على ارسين لوبين بيده .. لقد فهمت الآن لماذا لم نلتق انباء اخرى على الباخرة فقد كان جانيمار هنا .. وهو لا يطيق ان يرى احدا يتدخل فيسبأ بعده من صميم شؤونه .

- اذن فسوف يقبض على ارسين لوبين حتما ؟

- من يدري .. ان جانيمار لم يره قط ، فيما اعتقد ، الا متكررا .. وما لم يكن يعرف الاسم المستعار الذى ينتحله فى هذه الرحلة .
فقاطعتنى فى لهفة المرافة وافضولها :

- آه .. شديدا اود ان ارى كيف يتم اعتقاله !

- صبوا .. فلا ريب ان ارسين لوبين قد لاحظ وجود خصمه اللدود .. ولعله سيكون آخر من ينزل من الركاب بعد ان تكون انظار هذا الكهل قد كلت من التحديق فى الوجوه .

وهكذا بقينا فى وفغتنا هذه ريثما تتابع سبيل المسافرين فوق سلم الباخرة .. وكان جانيمار يستند الى مظلته فى غير اكترات وينظر الى الحشد المحصور بين سياجى السلم بغير مبالاة كانه لا يحس بوجودهم .. ولاحظت ان احد ضباط الباخرة كان يقف خلفه ويهمس فى اذنه بين حين وآخر .

ومر المركيز دى فردان ، والماجور راوسون ، وريفولت الايطالى ... وغيرهم كثيرون .. وعندئذ رايت روزين يقترب من نهاية السلم ..

يا له من منكود ... انه يبدو كأنه لم يفق بعد من اثر الكوارث التى اضلته فى هذه الرحلة .
وقالت نيللى اذ رآته :

- ربما كان هو على أى حال .. فما هو رايبك ؟
- رايبى اننا لو اخذنا صورة له وكجانيمار معا لكأنت تحفة نادرة .. هل لك ان تأخذى آلة التصوير وتلتقطى هذه الصورة بدلا منى ؟ ان يدي عليشان باشياء اخرى .

وناولتها الآلة ، ولكن بعد ان فات اوان استخدامها فقد سار روزين قدما .. وانحنى الضابط يهمس فى اذن جانيمار ، ولكن هلما هز كتفيه فى غير اكترات .. وبذلك مضى روزين الى سبيله .

فمن يكون اذن ارسين لوبين بحق السماء ؟
فقال الفتاة بصوت مرتفع : نعم .. من يكون اذن ؟

ولم يكن قد بقى اكثر من عشرين راكبا .. فتطلعت نيللى صوبهم ، واحدا بعد الآخر ، فى تلك الحيرة التى لازمتها اخيرا .. كأنما تخشى الا يكون « هو » واحدا واحدا من العشرين ..
وقلت لها :

- اننا لا نستطيع البقاء اكثر من ذلك .
فتقدمت نحو السلم .. وكنت اتبعها .. ولكننا ما كدنا نهبط عشر درجات حتى اعترض جانيمار سبيلنا ، فهتفت متمجبا :

- ما معنى هذا ؟
- لحظة واحدة يا سيدي . ما سبب هذه العجبة ؟
- انني اوافقك تلك السيدة الشابة .
فعاد يقول في لهجة اكثر صرامة : لحظة واحدة فقط .

وراح يتفرس في وجهي بامعان شديد وهو يطيل النظر في عيني .. وما لبث ان قال :
- ارسين لويين .. فيما تظن ؟
انهت ضاحكا ، وقلت :

- كلا .. بل برنار داندريز بكل بساطة .
- لقد مات برنار داندريز في مقدونيا عند ثلاث سنوات .

- لو ان برنار داندريز قد مات لما كنت هنا الآن .. وليس الامر كذلك في شيء .. هالك اوراقى .
- انها اوراقه هو .. وسوف يسرني ان اخبرك كيف امكنت الحصول عليها .

- هل جنت .. لقد كان ارسين لويين يسافر تحت اسم مستعار يبدأ بحرف الراء .

- نعم .. وهذه العربية اخرى من الاعبيك البارعة .. فقد ضللت رجالي في فرنسا وجعلتهم يبرقون الى الباخرة بهذه الاكلوية .. ولعمري انك لا تنقصك الذكاء ولا الالمية يا بني .. ولكن الحظ قد تخلى عنك هذه المرة .. فهيا لويين ، وانبت انك رياضي تتلقى الهزيمة في رضى واستسلام .

اقتردت لحظة قصيرة .. وعندئذ لطمني في رفق على ساعدي الايمن .. فصحت صيحة لم لم استطع كتمانها .. لقد اصاب الوغد ذلك الجرح الدامي الذي جاء ذكره في تلك البرقية .

ولم يبق امامي بعد ذلك الا ان استسلم صاغرا .. وتحولت صوب مس اندرداون .. فرأيتها تصفي لي هذا الحديث وقد امتقع وجهها في مثل شحوب الاموات ، وراحت تترنح حيث كانت واقفة .

والتمت عينها بعيني .. ثم انتقلت نظراتها الى آلة التصوير التي اعطيتها لها على سطح الباخرة ، فبقيت معها .. وما لبثت ان التفتت بفتنة ، واحسنت ، بل ايقنت ، انها قد فهمت كل شيء .. نعم .. فبين طيات تلك الآلة الصغيرة التي حرصت على ان اشعها بين يدي مس اندرداون قبل ان اواجه جانيفار كانت تقع جواهر اللادي جيرلاندي ، والعشرون الف فرنك الخاصة بوزين المسكين !

واقسم لك انني في تلك اللحظة الحاسمة الخطيرة ، وانا واقف بين جانيفار ومسامعديه كنت لا اهتم لشيء فقط .. القبح على ، والخطر الذي تعرض له ، وشماعة اعدائي وخصومي .. كل ذلك لم يكن شئبا مذكورا بجانب القرار الذي سوف يستقر عليه رأي نيللي اندرداون حيال آلة التصوير التي تركتها معها ..

ولم يكن ما اخشاه هو ان فيها الدليل المادي الحاسم ضدي .. وانما كل ما كان يشغل عقلي وقتئذ هو هل تقدم لهم نيللي هذا الدليل ام لا ؟

هل تخونني ؟
هل تدمر بيدها كياني ؟

هل يكون موقفها معي موقف العدو الصغير ، ام موقف المرأة التي تراودها ذكريات السعادة ، ويخفف من احتقارها ما ينفو به قلبها من العطف والرتاء ؟

ومرت نطلي من امامي ، منتصبية القامة ، مرفوعة
الرأس .. فأنحيت امامها انحناء طويلا .. وما لبثت
ان اختلطت بالمسافرين وهي توالى هبوط السلم وآلة
التصوير ما زالت في يدها .
وقلت لنفسي :

- لا شك انها خجلت من تقديمها لهم على هذه
الصورة العلنية .. وسوف تسلمها لجانيها بدا يبدأ
خلال ساعة او نحوها .

ولكنها ما كادت تصل الى نهاية السلم ، حتى
تظاهرت بانها تتعثر في خطواتها ، واسقطت آلة
التصوير في الماء بين جدار الباخرة ورصيف الميناء .
ورحت ارقبها وهي تسير في طريقها بعيدا .

كان قوامها الرشيق يظهر ويختفي بين جمهرة
المحتشدين في الميناء .. وما لبثت ان تلاشى عن عيني
الى الابد .

ولبثت جامدا مكالي برهة طويلة ، في حزن واسى ،
يمتزج به بين حين وآخر شعور من الحنان والعاطفة .
وكانت دهشة جانيها بلغة عندما سمعني اتهد
قائلا :

- ليتهى ما ولدت شقيا .

في هذه العبارات الجزلة المندفقة ، راح ارسين
لوبيين يحدثني بقصة القبض عليه ، ذات ليلة من ليالي
الشتاء ... فان المصادفة وسلسلة اخرى من
الحوادث التي سبق لي وصفها قد انشأت بيننا
رابطة من الصداقة والاخلاص والثقة .

نعم .. لقد شرفني لوبيين بهذه الصلة الوثيقة التي

قامت بيننا ، والتي جعلته بين الحين والآخر يلم بي
فجأة ، على غير توقع او انتظار ، ويحمل الى منزلي
السكن الهادي ، روحه المرحة الودية ، وينشر فيه
اشعاعا من حياته الحافلة وبشاشته المتدفق .

ولقد يسألني سائل ان اصف له ارسين لوبيين ..
ولكن كيف لي ان اصفه ، وانا الذي رأته اكثر من
عشرين مرة ، كان في كل منها يختلف كل الاختلاف عن
الآخرى .

كنت كل مرة ارى امامي انسانا لا اعرفه حتى
يعرفني بنفسه ، بل لقد قال لي ذات مرة :
- اني نفسي نسيت هيتني الحقيقية .. وما عدت
اعرف نفسي اذا نظرت في المرآة .

وهذا اغراق منه في الخيال بلا ريب ، ولكنه يصدق
عند اولئك الذين اتقوا به ، والذين يجعلون صبره
الذي لا يتفقد ، وبراعته التي لا تحدد ، في كل ما يختص
بتغيير في شكله ومظهره .. فقد بلغ من المهارة الى
الحد الذي يجعله يبدل من مقاييس وجهه ومواضع
تقاطيعه .. وكان يقول لي في ذلك :

- لماذا التزم مظهرا واحدا لا يتغير .. ولماذا لا
اتحاشى الأخطار التي يتعرفن لها كل من تظل شخصيته
كما هي .. الا يكفي ان اعلمني نفسها تنير عن شخصيتي
بما فيه الكفاية ؟

ثم اضاف في شيء من الترهو :

- ليس الافضل ان يقول الناس : « هذا من فضل
ارسين لوبيين » لا ان يشيروا الى قائمين : « هذا هو
ارسين لوبيين » ؟

القسم الثالث رأس الأفعى

نظر الدكتور بونار الى الرجل الجالس امامه مشجعا .

وأعتمد الدكتور اورفيلد في مقعده .. وبدأ حديثه .

كان في نحو الأربعين من عمره .. وقد وخط الشيب شعره .. وارتسمت في عينيه الزرقاوين نظرة قلق وأسى ..

قال بعد تردد قصير : انما جئتك يا سيدى كرميل بالتمس منك العون .. وقد شجعني على ذلك ما ذكره لى صديق الدكتور بريسكو عن كرم خلقك وناقب رايك .. وحسن تقديرك للأمور .. اننى لم أجا الى البوليس لانهم لا يستطيعون شيئا في مثل قضيتى .. بيد ان مرور الأيام يزيد الأمر تعقيدا وسوعا وأنا فى حيرة لا أدري ماذا يجب أن أفعل ..

ما الذى يزداد سوءا ؟

الشتائم .. انها تؤلمنى وتقضى مضجعى .. وتجعل حياتى لا تطاق .. لقد حدث منذ عام يا سيدى أن توفيت زوجتى .. كانت مريضة منذ عدة اعوام فلما توفيت راح كل انسان يزعم أننى قتلتها بالسسم !!

واهل قتلها بالسسم حقا ؟ - سيدى !!
فابتسم بونار وقال : هدىء روعك .. لنفترض اذن أنك لم تقتل زوجتك بالسسم .. أين توجد عيادتك ؟ ..

فاجاب الدكتور اورفيلد : ان عيادتى فى (بواسو) وهى منطقة ريفية اشتهر أهلها بالثرثرة والنهيمة ، ونشر الشائعات الخبيثة .. ولكن لم يخطر لى ببال

ان يبلغ بهم سوء الى هذا الحد . انك لا تعلم كم اقبسى .. وفى البداية لم اكن اعرف بما يدور حولى .. ولما لاحظت ان الناس يتجنبونى .. فسرت ذلك بانهم يحرسون على احترام حرتى ولا يريدون ازعاجى .. ولكن لغورهم منى بدأ يزداد وضوحا .. فهم يتجنبون مقبلى ، ويفرون منى الى الجانب الآخر من الطريق .. وكسب عملى .. واحسست بان الناس يتهامون حولى .. ويرمقونى بنظرات حقد وكراهة .. وجاءنى خطاب او اثان ، يتضمنان إشع الشتائم والاشائمات .

اننى حائر لا اعلم كيف اقاوم هذا الأخطبوط من الشتائم والاشائمات نعم ، كيف يستطيع الانسان ان ينفى نهيمة لا يواجه بها صراحة .. الحق اننى عاجز تماما عن الخروج من هذا المازق .

- متى توفيت زوجتك ؟

- منذ عام .. كانت مصابة بقرحة فى المعدة .

- هل اجريت عملية تشريح بعد الوفاة ؟

- كلا .. فقد كانت مصابة بهذا المرض منذ مدة طويلة .

فأطرق بونار برأسه لحظة ثم قال : ان اعراض الالتهابات المعوية تشبه من كل الوجوه اعراض التسمم بالزرنيخ وهذه حقيقة يعرفها كل انسان فى هذه الأيام .

- هل كانت زوجتك أكبر ام اصغر منك سنا ؟

- كانت اسن منى بخمسة اعوام .

- متى تزوجتما ؟ - منذ خمسة عشر عاما .

- هل لى ان القى عليك سسؤالا فيه شيء من الفضول ؟

- سئل ماتشساء ..

- هل تركت لك ثروة ؟

- نعم .. تركت ما يقرب من ثلاثين الفاً من الجنيهات .

- هل كانت الصلة بينك وبين زوجتك على ما برام ؟

فتردد اورفيلد قليلاً ثم قال : الواقع .. الواقع ان زوجتي كانت امرأة حادة الطباع .. ضيقة الصدر بسبب آلامها وقلقها على نفسها .. وقد مرت بنا ايام كنت الحياة فيها لا تطاق .

- هل جئتها بمرضة تعنى بها، او باحد يجالسها ،
- بل جئتها بمرضة كانت تلازمها وتعنى بها ليل نهار .. وهى امرأة رشيدة منزلة لا اظن انها قالت شيئاً اقام عليه الناس هذا الصرح الشاهق من الشائعات .

- كل انسان مهما يكن منزلاً رشيداً له لسان يتكلم به .. وليس عندي شك في ان المرخصة تكلمت .. وان الخدم تكلموا وان اللفظ كان يدور بك من كل جانب دون ان تشعر . ان البلد الذى تقسم به صغير وجميع عناصر الفضيحة موجودة .. وليس احب الى الناس في المدن الريفية الصغيرة من فضيحة يتهايمون بها . والآن .. دعنىلقى عليك سؤالا آخر .. من هى السيدة ؟

فاحمر وجه اورفيلد وقال : لست افهمك .
فقال بونار في رفق : بل اظنك تفهمنى جيداً .. اننى اسالك من هى السيدة الاخرى التى اقترن اسمها باسمك فى هذه الفضيحة ؟

فتبعض اورفيلد واقفاً وهو يقول ببرود : لا توجد سيدة اخرى يا سيدى ويوسفنى اننى اضعك الكثير من وقتك .

وقصد الى الباب فقال بونار : ذلك يوسفنى ايضا .. ان قضيتك انارت فضولى . وكان بمعنى ان ولكنى لا استطيع ان افعل شيئاً ما لم اعرف الحقيقة بخلافها .

- لقد ذكرت لك الحقيقة . - كلا .
فدار اورفيلد على عقبه وقال : لماذا تصر على الاعتقاد بان هناك امرأة اخرى ؟ !

- يا عزيزى .. اتحسب انى اجهل عقابى النساء .. ان اللفظ والشائعات فى المدن الصغيرة لا تتناول عادة غير الصلة بين الجنسين .. فاذا وضع الرجل السم لزوجه لكى يخلو له الجو فيقوم برحاة الى القطب الشمالى .. او لكى يستمتع بحرية العزاب .. فان ذلك لا يشتر فضول احد .. انما يتهايم الناس ويروجون الشائعات عندما يعتقدون ان جريمة القتل ارتكبت لكى يتحرر الرجل من زوجته ويقترن بامرأة اخرى .

- اننى غير مسئول عما يدور فى خلد الوشاة النمامين .
- طبعاً .. طبعاً انت غير مسئول .. ولذلك يحسن ان تعود الى مكانك وتجيبنى عن السؤال الذى التيته عليك .

فسار اورفيلد ببطء حتى بلغ مقعده فتهاكك عليه وقال :

- اظنهم كانوا يتقولون عن الائمة سوزان مونكرىف المرخصة التى تعاوننى فى عملى بالعبادة .
- متى التحقت بخدمتك ؟
- منذ ثلاثة اعوام .
- هل كانت زوجتك تحبها ؟
- لا .. لا اظن ذلك .

هل كانت تفار منها ؟

كأنت غير حقة ليس لها ما يبررها .
فابتسم بونار وقال : ان غير الزوجة هي مضرب
الأمثال . ولكن دعني أقول لك شيئا تعلمته من
تجاربي الشخصية .. ان الغير مهما كانت حقة ..
فإنها تقوم دائما على أساس .. وهناك عبارة مشهورة
بردها الأمريكينيون « **الزبون دائما على حق** » .. ومثل
ذلك يصح أن يقال عن الزوجة أو الزوج الضيور ..
ليس صحيحا أن عنابتك بروجتك قد فترت نوعا ما
قبل وفاتها ؟

قصصت أورفيلد لحظة ثم قال : هذه المسألة تكاد
تقتلني .. ولكن يجب أن أرجو .. وأمة شعور داخلي
يهيب بي أن أضع رجائي فيك .. وانك قد تفيدني
.. لذلك سأكون صريحا معك . قاصع الي يا دكتور
بونار .. الحق أنني لم أحب زوجتي .. كنت لها
زوجا طيبا ولكني لم أحبها قط .

وهذه الفتاة .. سوزان ؟

لقد كنت أود الإقتران بها لولا هذه الفضيحة .
فاعتدل بونار في مقعده وقال : الآن .. قد
وصلنا الى بعض الحقائق .. حسنا يا عزيزي الدكتور
.. سأعالج مشكلتك ولكن بشرط واحد .. هو ان
أبحث عن الحقيقة أينما كانت .

فقال أورفيلد بمرارة : ان الحقيقة لن تضيرني ..
وقد فكرت فعلا في مقاضاة مصدر هذه الشائعات ..
وخطر لي ان أضع يدي على اي انسان فأفاضيه وأثار
بدلك لسرلي وسمعتي .. ولكني خشيت ان تنسج
رقعة الفضيحة .. وأن يقول الناس - مهما كانت
القضية - « لا دخان بغير نار » !!

ونظر في عيني بونار بامعان وسأل : حدثني بصراحة

.. هل ثمة أمل في التخلص من هذا الكابوس ؟

- سوف ترى .

وسافر بونار الى « بوايسبر » ونزل في الحانة
الصفيرة الوحيدة التي بالقرب .. وفي اليوم التالي
توصوله قابل سوزان موكريف .

كانت فتاة طويلة القامة .. حمراء الشعر .. لها
عينان زرقاوان .. ونظرات ثابتة ناعبة .
قالت له : لقد حدثني الدكتور أورفيلد مرارا عن
رغبته في الإلتجاء اليك .

- وطبعا لم توافقيه ؟ !

فالتقت عيناها بعينه وقالت في برود :

- وماذا في استطاعتك ان تفعل ؟

فأجاب في هدوء : قد يوجد مخرج من هذا الموقف .

- أي مخرج ؟ هل تفكر في الذهاب الى كل عجز

للاثر في هذه القرية لتقول لها « اضرع اليك ان تكفي

عن ترويح هذه الاشاعات فانها تسمى الى مركز الدكتور

أورفيلد المسكين ؟ » او فعلت .. لقلت لك كل

منون : « حقا أنني لم أصدق قط هذه الشائعة » .

قال بونار :

- يخيل اليك تعرفين جيدا ما يدور من احاديث

.. ولكن ما الحل الذي تقترحينه انت ؟

- الراي عندي ان يبيع عيادته .. ويرحل من

هذا البلد .. ويفتح عيادة اخرى في مكان آخر .

- الا تعتقدين ان الشائعات قد تتعقبه .. وتنطلق

وراءه أينما ذهب ؟

فهرت كنفيا واجابت : يجب ان يجرب .

قصصت بونار لحظة ثم سال :

- هل في نيتك الإقتران بالدكتور أورفيلد

يا آنسة ؟

فلم يدعها هذا السؤال واجابت : انه لم يطلب
يدي .

- ولماذا ؟

فالتقت عيناها الزرقاوان بعينييه .. وارتجفت
اهدابها وهي تجيب :
- لاننى صددته .

- ما اجبال ان يجد الانسان مثل هذه الصراحة .
- ساكون صريحة الي اقصى حد .. عندما أدركت
ان الناس يتهايمون بان اورفيلد تخلص من زوجته
ليقترب بي .. فكرت في اننا اذا تزوجنا كان ذلك
بمثابة اسدال الستار على جريمة يتوهم الناس
وقومها .. اما اذ لم نتزوج .. فان الشائعات
مصيرها حتما ان تتلاشي .. ولكن ذلك لم يحدث
اسوء الحظ .

- هل تريدان الاقتران بالدكتور اورفيلد ؟

- نعم .. اريد ذلك .. وقد وددت الاقتران به
منذ وقع بصري عليه .

- اذن قد سرك موت زوجته ؟

- كانت زوجته مخلوقة لا تطاق .. واصارحك
اننى سررت لموتها .

- اصغى الي .. اننى اعتقد انه لا يد من عمل
حاسم يقطع الشك باليقين في هذه القضية . واقترح
ان تقرمى انت ، او شخص آخر بالكتابة لادارة
البوليس .

- ماذا تعنى بحق السماء ؟

- ان افضل طريقة لقطع السنة السوء بصفة
نهائية هي تشريح جثة زوجة الدكتور لمعرفة اسباب
موتها .

فقلت سوزان في هدوء :

٨٢

منذ انى لا اوافقك على هذا الراى .

- لماذا ؟ مما لاشك فيه ان تقرير الطبيب بان
الوفاة كانت طبيعية ، مثل هذا التقرير من شأنه ان
يضع الامور في نصابها ، ويسكت جميع الالسنه .
- هذا صحيح .. بشرط ان نضمن التقرير ان
- هذا صحيح .. بشرط ان نضمن التقرير ان
الوفاة كانت طبيعية .

- هل تدركين ما ينطوى عليه هذا الكلام يا آنسة ؟
- اننى ادرك معنى كلامي جيدا . انت ترتاب في
ان تكون الوفاة قد حدثت بواسطة الزونيخ .. ولكن
هل غاب عنك ان هناك انواعا اخرى من السموم ؟
هناك القلوبيات النباتية مثلا .. ان آثارها لا تظهر في
جثة المتوفى بعد اتقضاء عام على وفاته .
- من تظنينا اشد النساء لثررة في هذه القرية ؟
- اعتقد ان الآنسة برتران هي اسوأ الثرورات
جميعا .

- هل في استطاعتك ان تقدمينى اليها بصفة
عرضية .. بحيث لا تشعر بان الامر مدير ؟
- ليس ايسر من ذلك . ان جميع العوانس
يتسوقن صباحا وللتقين في الحوانيت لتبادل
الشائعات والاباء .. وكل ما علينا عمله هو ان نسير
معا في الشارع الرئيسى فنلتقى بها .

وسار معا في الشارع الرئيسى حتى اشرفنا على
مكتب البريد .. وهناك التقت سوزان بالمرأة طويلة
القامة في متوسط العمر .. لها انف طويل وعينان
حادتان .. فبادرتها بقولها :

- طاب صباحك يا آنسة برتران .

- دعيني اقدم لك الدكتور بونار .. الذى يقضى

في القرية بضعة ايام التماسا للراحة .

٨٣

وتناول بونار فدح الشاي .. وراح يرقب مسئلة
من ركن عينه .

كانت الأتسة برتران قد اطمانت اليه .. ودعتنه
لتناول الشاي في بيتها ، وكن كل هههها ان تعرف
- بما طبعت عليه من فضول - الاسباب الحقيقية
لحضوره الى القرية .

وقد ظل وقتا طويلا يتجنب هجماتها .. ويتملص
من الاجابة على اسئلتها المتدفقة حتى بلغ فضولها
غايته .. وحينئذ انحنى الى الامام وقال لها بلهجة
من ييوج بالسر :

- الحق انك ابرع مني يا اتسة برتران .. لقد
عرفت كيف تكتفين اسراي .. الواقع انني هنا
منتدب من ادارة البوليس .. ولكنى ارجوك ان
تكنمى هذا السر .

- طبعا .. طبعا .. تقول انك منتدب من ادارة
البوليس .. هل تعنى من اجل موضوع مدام
اورفيلد المسكينة ؟

فاطرق بونار براسه علامة الایجاب ، وتذفست
الاتسة برتران الصعداء .. وظهرت على وجهها
علامات الجدل والسرور .

قال : ان الموضوع دقيق للغاية ، وانا مكلف بالبحث
عما اذا كان من الضروري استخراج الجثة وتشریحها .
فهمت : تخرجون الجثة من قبرها .. هذا مخيف .
ولو انها قالت ما ابداع هذا .. لسكان قولها اكثر
ملاءمة لصوتها ولهجتها .

سألها : ما رايك انت يا اتسة برتران ؟

- الواقع يا دكتور بونار ان الناس يتكلمون كثيرا
.. ولكنى لم اقم قط وزنا لما يقسال .. ومما
لا شك فيه ان طباع الدكتور اورفيلد تغيرت كثيرا

منذ الحادثك .. ولكن ليس معنى ذلك ان الرجل
يشعر بوخز الضمير ، فقد يكون السبب هو الخوف
.. وليس معنى ذلك ان العلاقات بينه وبين زوجته
كانت على ما يرام ، فهذا شيء اخره شخصيا ..
وقد اكدته الممرضة هاريسون التى لازمت الزوجة
طيلة الايام الثلاثة او الاربعة التى سبقت وفاتها .

وقد كنت دائما احس بان الممرضة هاريسون
ترتاب في الامر .. انها لم تتحدث عن ربيتها ..
ولكن الانسان يستطيع دائما ان يستنتج من نظرات
الشخص وتقاطيع وجهه ما لا يفصح عنه لسانه .

- كل هذه ملاحظات شخصية عابرة لا تصلح حافزا
لتشريح الجثة .

- اعلم ذلك يا دكتور بونار .. ولكن لا تنس ان
عملية التشریح هي وحدها التى تقطع الشك بليقين .
- هذا صحيح .

فاستطردت المرأة وعيناها تتلقتان حساسة وجدلا :
- لقد قرأت في الكتب والصحف عن جرائم كثيرة
من هذا النوع .. رجل يقتل زوجته لكن يقترون
بسكرتيرته ، او خادمتها ، او معلمة اولاده .. ولكنى
لا اظن سوزان مولكريف من السوء الى هذا الحد ..
انها فتاة ظريفة ، ولا يمكن ان تكون قد اوجت اليه
بشيء .. ولكن العلاقة بينهما كانت وثيقة جدا .
فنظر اليها بونار في بساطة وسداجة .

استطردت : ان التشریح سيميط اللثام عن الحقيقة
.. ليس كذلك ؟ .. ثم ان الخدم دائما يعرفون
اشياء كثيرة عن مخدموميههم .. اليسك مثلا الخادمة
بيتريس : لقد طردت من خدمة الدكتور اورفيلد عقب
الحادث مباشرة ، وكان طردها مدعاة للاقاويل ..
وظن الناس ان الدكتور قد طردها حتى لا تعرف

شيئا .. إن أوصالي لترتجف كلما فكرت في الضجة التي سوف تثيرها الصحف حول قريتنا الهادئة الوداعة .

فتنهذ يونار وقل : ومع ذلك فإن الأمر قد لا يعدو أن يكون مجرد شائعات لا أصل لها .

- لا أظن ذلك .. الواقع انى أعتقد أن ما يقال صحيح لا شك فيه .. وهناك المسلسل « لا دخان بغير نار » .

- هل لى أن أطمئن الى صحتك وكنتمالك السر يا آنسة ؟

- طبعاً .. لن أقول كلمة واحدة لكائن من كان .

ووتصها وانصرف .. وقال للخادمة التي ناولته فيعته عند الباب :

- اننى هنا للتحقيق في ظروف جادث وفاة مدام أورفيلد ، ولكنى أكون شاكراً اذا كتعت هذا السر .

- أوه يا سيدى .. اذن فقد قتلها زوجها الدكتور ؟

- هذا ما كنت تعتقدينه منذ مدة طويلة .. اليس كذلك ؟

- لست أنا يا سيدى ، وإنما هى بياتريس التي كانت تعمل في بيت الطبيب حين ماتت زوجته .

- كنت تعتقد أن فى الأمر جريمة ؟

- نعم يا سيدى .. نعم .. وقالت ان ذلك هو أيضا ما تعتقده جلاديس هاريسون للمرضة التي لازمت زوجة الدكتور طيلة مرضها منذ ثلاثة أعوام الى أن توفيت .. كانت جلاديس تحب مدام أورفيلد

وقد حزنت كثيراً لوفاتها .. وتقول بياتريس ان المرضة لا بد تعرف شيئاً وتكتمه ، لأنها صارت بعد ذلك تحقد على الدكتور .. وهى لا يمكن أن تفعل

ذلك ما لم يكن فى الأمر شيء .

- وابن تقيم جلاديس هاريسون فى الوقت الحاضر ؟

- انها تعمل الآن عند السيدة « ستو المحوز ،

التي تقيم فى آخر القرية .. فى ذلك البيت القائم على اعمدة بيضاء .

وبعد نصف ساعة كان « نار جالسا يتحدث الى جلاديس هاريسون المرضة .. وهى امرأة جميلة

الطاعة ، خاللة العيشين ، تناهر الأرمين من غيرها .. وقد أصفت اليه بانتباه .. ثم قالت بيضاء :

- نعم أعظم أن هناك شائعات كثيرة .. وقد حاولت ان أضع حدا لها ، ولكن بغير جدوى .

- ولكن لا بد أن هناك شيئاً أثار هذه الشائعات !! فظفرت على وجهها دلائل الحزن العميق .. وهزت رأسها الجميل ولم تجب .

قال يونار : ربما لم يكن الدكتور أورفيلد على وفاق مع زوجته .. ولهذا كثرت الأقاويل !!

فهزت المرضة رأسها وأجابت : كلا .. كلا .. لقد كان الدكتور يعامل زوجته برفق وعطف

وسعة صدر .

- هل كان بحبها ؟

- كلا .. لا أظن ذلك .. لقد كانت زوجته سيئة الخلق ، ضيقة الصدر .. تطالب من العناية والاهتمام

بأكثر مما تقتضيه حالتها .

- هل كانت تبالغ فى تقدير خطورة مرضها ؟ فاطرقت المرضة برأسها وأجابت :

- نعم .. كانت أوهامها تؤثر كثيراً فى حالتها النفسية .

- ومع ذلك فإنها ماتت بسبب المرض .

- نعم .. اعلم ذلك .
 ولاحظ اضطرابها وحيرتها .. فقال : يخيل الى
 انك تعرفين مصدر هذه الشائعات :
 فاحمر وجه المريضة .. وقالت : ربما كان مصدرها
 الخادمة بياتريس .. واظن اننى اعرف السبب ، فقد
 حدث اننى سمعت جانبها من مناقشة دارت بين
 الدكتور اورفيلد والآنسة سوزان مونكرريف .. ومن
 المحقق ان بياتريس سمعت هذه المناقشة ايضا ،
 وان لم تقرر ذلك .

وصحبت المريضة بعض الوقت - كأنما لتستجمع
 ذكرياتها - ثم قالت :
 - كان ذلك منذ ثلاثة اسابيع قبل النوبة الاخيرة
 التى قضت على مدام اورفيلد .. وكان الدكتور
 وسوزان فى غرفة الطعام .. وكنت فى طريقى الى اليهود
 فسمعت سوزان تقول : « الى متى يستمر هذا اللم
 يعسد فى مقدورى الانتظار اكثر مما انتظرت » ..
 فاجابها الدكتور : « سوف لا يطول انتظارك ابنتها
 العزيزة .. اقسام لك » .. فسألته : « هل تعتقد
 ان كل شيء سيتم على ما يرام ؟ » .. فاجابها :
 « طبعا .. كل شيء سيكون على ما يرام .. وسوف
 نتزوج فى مثل هذا الوقت من العام المقبل » .
 هذا هو الحديث الذى سمعته يا دكتور بونار ..
 كنت اعلم ان الدكتور يعجب بسوزان .. ولكن هذا
 الحديث كان اول اشارة الى وجود صلة بينهما .

اذهانى ما سمعت .. ولكنى لاحظت - رغم
 ذهولى - ان بابا الملبخ مفتوح .. فابقنت على الفور
 ان بياتريس كانت تنصت ، وانها سمعت ما سمعته .
 وهذا الحديث - كما ترى يا دكتور بونار - يمكن
 تأويله على وجهين ، فهو قد يعنى ان الدكتور اورفيلد

يدرك ان زوجته مريضة جدا ولن تعيش طويلا
 (ولا شك عندى انه كان يقصد الى هذا) ، كما انه
 قد يعنى - سيما بالنسبة الى فتاة مثل بياتريس -
 شيئا اخطر من ذلك .. هو ان الدكتور اورفيلد
 وسوزان يدبران امرا للتخلص من الزوجة .
 - ولكنك انت نفسك لا تظنين ذلك ؟

- كلا .. طبعا .
 فحدثها بونار بنظرة حادة .. ثم قال فى هدوء :
 - هل لمة شيء آخر تعرفينه ولم تذكره ؟
 - كلا .. اى شيء آخر ؟
 - لا اعلم .. ولكن قد يكون هناك شيء .
 فهزت رأسها سلبا .. وفل بونار : يحتمل ان
 تأمر ادارة البوليس باخراج جثة زوجة الدكتور
 اورفيلد وتشريحها .
 - ماذا تقول ؟! .. هذا مخيف .. سوف تكون
 صدمة قاسية للدكتور .

- الا تعتقدين ان ذلك خير له ؟
 - ماذا تعنى ؟
 - اذا كان بريئا .
 وهز كتفه .. ولم يكمل عبارته ، وترك لعقل
 المريضة فرصة لقبول الفكرة وهضمها .. ولاحظ ان
 وجهها اكفر لحظة ، ثم لم يلبث ان انبسط
 اساريره .

قالت : لم افكر فى الامر من هذه الوجة .. نعم
 ان من الخير له ان يحدث ذلك .. ان تشرح الجثة
 هو الشيء الوحيد الذى يضح الامور فى نصايها ،
 ويقطع السبيل على مروجى الشائعات .
 وقصد بونار الى مكتب البريد ، حيث اتصل
 تليفونيا بصديقه المفتش بيشو .

ولما فرغ من حديثه .. سال موظف المكتب عن
ممر ادمه الحادمة بياتريس ، التي كانت تعمل وصيفة
في بيت الدكتور اوربيد .. فارتدده الموظف اليه .

وقابل بونار الوصيعة .. ووجدتها فتاة قصيرة
القامة ، نذل تعاطيع وجهها على الغياء .. ولكن
عينها تلمح عن الندم والحبث .

ولم يستطع بونار ان يعرفها شيئا يذكر .

آيات تلوذ وتكرر القول : لا اعرف شيئا عن هذا
الموضوع .. وما حدث بعيدا عن المطبخ لم يبن من
شئى .. ولست ادري شيئا من الحديث الذي تزعم
اننى سمعته يدور بين الدكتور وسوزان مونكريف ..
انا لا استرق السمع عند الابواب .

- هل سمعت عن التسميم بالزرنينخ ؟

وهنا - ولأول مرة - تألق وجهها .. فهتفت :

- اذن تلك الزجاجة كانت تحوى زرنينخا ؟

- اية زجاجة ؟

- زجاجة نوان اعدتها سوزان مونكريف لسيدتى ..
وقد اضطربت جلاديس حين ابصرت بالزجاجة ..
فتدفقت معتوياتها ، ودنتها من انفا .. واخيرا
افرغت محتوياتها في البالوعة ومالات الزجاجة بالماء
العراج .. وحدث مرة اخرى ان حملت سوزان
الى سيدتى فدحا من الشاي ، فافرغته الممرضه
في البالوعة وصنعتا فدحا اخر .

- كيف كانت الصلة بينك وبين سوزان مونكريف .

- عاديه .. وطبعاً كنت اعلم انها تحب الدكتور .

وحمل قطار المساء الى القرية كلا من يشو
مفتش البوليس ، والدكتور جارسيا الطبيب الشرعى

.. وقد قصدا لتوها الى الحانة حيث التقيا
بالدكتور بونار .. ودار بين الرجال الثلاثة حديث
طويل استغرق ساعتين .

وكان استخراج جثة عدام اورفيلد وتريحها
حديث الجميع في قرية يواسو .. وخيل الى الدكتور
بونار ان اهل القرية جميعا لن يفض لهم حفن
والن تنقر السنهم في اشملاقهم قبل ان يعرفوا
نتيجة التشریح .

وفي صبيحة السوم الثالث .. بينما كان بونار
يتناول طعام الافطار مع الدكتور جارسيا في حانة
القرية ، اذ اقبلت جلاديس هاريسون وهي شاحنة
الوجه زائفة العنين .. فسالت بونار في الهفة : احقا
ما سمعته يا دكتور بونار ؟

فقدم اليها بونار مقعدا .. وقال : نعم .. لقد
وجد في الجثة من الزرنينخ اكثر مما يكفى لاحداث
الوفاة .

فهتفت والدفعون لتهمر من عينها : لم يخطر ببالي
قط ان ..

فقاها بونار في رفق : كان لابد من ظهور الحقيقة
على اية حال .

- هل سيشتمونه ؟

- لدينا امر بالقبض عليه .. ولكن ينبغي قبل
كل شيء ان نحلو كثيرا من الامور ، اولها كيف حصل
الدكتور على السم ؟

- ولكن .. هب انه لا يد له في الموضوع .

- في هذه الحالة يجب ان يرا .

فقاالت في بظء : توجد اشياء كان ينبغي ان اذكرها

لك من قبل .. ولكنى لم افطن لاهميتها .

- نعم .. نعم .. تكلمى .

- لقد حدث ذات يوم انى دخلت غرفة العيادة ،

فوجدت سوزان مونكرىف تفعل شيئا عجيبا .

- ما هو !!

- رايتنا ممسكة بعلبة المساحيق (البودرة) ..

وهى علبة جميلة وردية اللون ، وقد شرعت تملأها

بمسحوق ابيض من زجاجة اخذتيسا من الدولاب

الذى تحفظ فيها العقاقير السامة .. ولما احست

بدخولى ظهر عليها الاضطراب ، واسرعت الى العلية

فوضعتها في حقيبتها ، والى الزجاجة فاعادتها الى

دولاب العقاقير .. لم اقم وزنا لهذا الحادث في ذلك

اليوم .. اما الآن .. بعد ان ..

وكفت عن الكلام .. فقد دخل بيشو في هذه

اللحظة وحيا الرجلين والمرضة ، وقدم الى بونار

شيئا ملفونا بعنديل من الحرير .. فتناول بونار

ذلك الشيء ، وبسط المنديل ، واخرج منه علبة جميلة

وردية اللون من النوع الذى تضع فيه السيدات

المساحيق .

ولم تكذ الممرضة ترى العلية حتى هتفت :

- نعم .. هذه هى العلية التى رايتنا .

وفتح بونار العلية .. فقال بيشو : ان بها مادة

بيضاء ليست (بودرة) .. وقد تدوقتها فلم اعرف

لها طعما .

فقال بونار : ان الزرنيخ الابيض لا طعم له .

فقال الدكتور جارسيا : يجب تحليل هذه المسادة

على اى حال .. هل تقسمين على ان هذه هى العلية

التى رايتنا !!

- نعم .. انسى على ان هذه هى ذات العلية التى

رايتنا في يد الانسة سوزان مونكرىف قبل وفاة زوجة

الدكتور بأسبوع .

فتنهده بيشو .. فنظر الى بونار واطرق برأسه ..

فقال هذا الاخير محدثا الممرضة : قلت بامجة التوكيد

انك رايت هذه العلية في يد الانسة سوزان مونكرىف

عند عام .. فهل يدعشك ان تعلمى ان هذه العلية

بالذات قد باعها محل (بارونى) منذ اسبوع واحد ،

وان هذا الطراز من العلب لم يبتكر وام يطرح للتداول

في السوق الا منذ ثلاثة شهور .

فذهلت الممرضة .. ولم تحر جوابا .

قال بونار محدثا بيشو : هل لك ان تذكر لى كيف

عثرت على هذه العلية يا مسيح بيشو ؟

فقال بيشو : انك طلبت الى ان اتعقب هذه السيدة

انما ذهبت .. فرايتنا تستقل احدى المركبات الى

مدينة (دارينجتون) القريبة ، حيث ارتفعت هذه

العلبة .. وفي المساء ذهبت الى بيت الانسة سوزان

مونكرىف .. وكنت قد سبقتها الى هناك بناء على

تعليماتك .. فرايتنا تتسلل الى مخدع الانسة وتضع

العلبة في درج دولابها ، ولم يخطر ببالها انى ارى

كل حركة من حركاتها من خلال ثقب المتفاح .. ثم

الصرقت عقب ذلك دون ان يشعر بهسا احد ، لان

الناس في هذه القرية الصغيرة لا يوصلون ابوابهم .

وصمت بيشو .. فنظر بونار الى الممرضة وقال

بامجة فاسية : هل تستطيعين تفسر هذه الحقائق

يا سيدتى لا .. ان هذه العلية كانت خالية من الزرنيخ

عندما اياعتها من (دارينجتون) .. وقد كان من

الخطا ان تحتفظى في غرفتك بكمية كبيرة من الزرنيخ .

وعنا دافنت الممرضة وجهها بين كفيها .. وهتفت

بصوت اثنيه بانين حيوان جريح : نعم .. انى قتلتها

وبشر فائدة على الاطلاق .. كنت مجنونة .

قالت سسوزان مونكرينف تحدثت بونار : معدرة يا دكتور بونار ، فقد غضبت منك أشد الغضب حين لاحظت ان القرية امتلأت عقب حضورك بموجة جديدة قوية من الشائعات .. تدور كلها حول اتهام أورفيلد بقتل زوجته ، ورغبة البوليس في تشريح جثتها .. لقد خيل الى انك زدت الامر سوءا وتعقيدا .

فاجاب بونار : كان لابد لي ان ابدا هذه البداية لاصل الى رأس الأفعى .. وقد كان اول سؤال القيتة على نفسي هو : من ذا الذي كان اليساري باطلاق هذه الشائعات ؟

وادركت بعد قليل ، وبشر جهدا ، انها جلاديس هاريسون .. فذهبت لمقابلتها ، وخيل الى أنها امرأة وادعة ذكية طيبة القلب .. ولكنها ارتكبت غاظة كبرى حين ذكرت لي الحديث الذي زعمت انها سمعته يدور بينك وبين أورفيلد .. كان حديثا مفتعلا بطبيعة الحال ، لانه لا ينطبق من الناحية السيكلوجية على ما لاحظته من طبيعتك وطباع الدكتور أورفيلد ، يضاف الى ذلك ان الكلام الذي استندته اليك ، وزعمت انك قلتبه ، لا يتلاءم مع عقليتك وتفكيرك .. انه كلام لا يصدر الا عن امرأة اكبر منك سنا ، ومن طراز يختلف كل الاختلاف عن طرازك .. انه كلام تخيلته جلاديس هاريسون .. كلام كان يصدر عنك هي شخصيا في مثل ذلك الموقف .. وكان الموضوع في نظري حتى تلك اللحظة بسيطا غاية البساطة .. ولكني لم البث ان لاحظت ان جلاديس لا تزال تمتنع بقسط من الجمال

والقننة ، وانها مكنت في بيت الدكتور ما يقرب من ثلاثة اعوام .. وكان الدكتور يشعر نحوها بالشكر والتقدير وعرفان الجميل لما تبدي لزوجته من عناية ورعاية ، ولما تنسم به تصرفاتها من لباقة وكياسة .. ولعلها تخيلت ، ازاء ذلك كله ، ان زوجة الدكتور اذا توفيت لانه قد يقترن بها هي .. ولكن حدث بعد وفاة الزوجة انها لاحظت ان الدكتور يحبك انت ، فجن جنونها بدافع الغيظ والغيرة وخيبة الأمل .. وراحت تطلق الشائعات بان الطبيب سيم زوجه ، ذلك ما كنت اتخيله حتى قابلتها .. ولكن المثل القائل « لا دخان بلا نار » جعلني اتجه بتفكيري وجهة اخرى .. فخطر لي ان الدور الذي قامت به جلاديس هاريسون ربما كان اخطر من مجرد اطلاق الشائعات .. ولقد نظرتي بعض اشياء ، منها قولها ان مرض الزوجة كان وهما اكثر منه حقيقة ، وان لها كان بسيطا .. بينما ان الدكتور وانما من ان مرض زوجته كان شديدا واما لا نفاق ، وهو نفسه لم يدهش لوفاتها .. وقد استدعى طبيبا آخر قبيل موتها ، واسترتق عن خطورة حالتها .. وعندما فاتها بفكرة تشريح الجثة ، اضطربت اولاً ، ثم غلبها الحقد والغيرة .. وفكرت في ان الفرصة قد سنحت للانتقام منك ومن الدكتور .. وبقي لي امل واحد ، هو ان تمضي جلاديس في نقيتها عليك فتورط في غلظة تكشف امرها .. وتحقق املى ، فقد فكرت جلاديس في الامر ، وخطر لها ان التهمة قد تلتصق بالدكتور وحده ، وانك قد تغتبن من العقاب .. فمادام تصنع ؟ .. وخيل الي انها سوف تعصر قريحتها في البحث عن وسيلة لادانتك .. ولذلك

أوعزت الى بيثو ان يرقب حركاتها ، ولم تكن قد
رأته او عرفته . . فاستطاع ان يراقبها دون ان
تقطن اليه .

فهمت سوزان : ما أبرعك !!

وقال الدكتور اورفيلد : الحق انى عاجز عن
شكرك يا دكتور بوبار . . يا الهى . . لقد كنت اعشى .

— وهل كنت عمياء انت كذلك يا آنسة ؟

فاجابت سوزان : انى كنت فى أشد حالات الهمم
والقلق ، فقد لاحظت أن كمية الزرنيخ فى الدولاب
تنقص باستمرار .

فصاح اورفيلد معاتبا : سوزان . . لا شك انه
لم يخطر ببالك انى الذى . . .

فقاطعته : كلا . . لم افكر فى ذلك لحظة واحدة . .

وانما الذى خطر لى هو ان زوجتك ربما كانت تأخذ
مفتاح الدولاب من جيبك وتختلس كميات صغيرة من
الزرنيخ وتتداولها لسكى تسوء حالتها ، فنشر شفقتك
عليها واهتمامك بها . . وقد كان يخيفنى من التشريع
أن يوجد اثر الزرنيخ فى الجنة ، فلا يتجه التفكير هذا
الاتجاه ، وانما يسارع القوم الى اتهامك . . ولهذا
لم اذكر لك كلمة واحدة عن نقص الزرنيخ ، بل انى
فعلت أكثر من ذلك . . سجلت فى دفتر السموم
ارقاما غير صحيحة تناسب مع الكمية الباقية
فى الدولاب . . ولكنى لم اشك قط فى جلاديس
هاريسون .

((تمت))

مطابع البلاغ بالقاهرة

٢٦ شارع منصور - تليفون ٢٢٩٢٦